

- منظومة الحج في الرؤية السعودية
- المسلمون وآفاق التعايش
- وسطية الإسلام ومكافحة الإرهاب

الرابطة

Alrabetah

السنة ٥٢ العدد ٥٩٩ ذو الحجة ١٤٣٧هـ - سبتمبر ٢٠١٦م

الأمين العام؛
شافية المرحة
لاظهار عالمية الإسلام



الحج رسالة سلام

السلام من أسماء الله الحسنى: «هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ». ولفظ الإسلام مأخوذ من السلم والسلام. والمسلمون حيتهم السلام. وفي الجنة حيتهم السلام: «لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا إِلَّا قِيلاً سَلَامًا سَلَامًا». ويتجلى السلام في الشعائر التعبدية. فالمسلم يقرأ في تشهده السلام على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى عباد الله المؤمنين. ولا يخرج من الصلاة إلا بلفظ السلام. وليلة القدر في رمضان «سلامٌ هي حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ». أما حج البيت: فتجلى فيه أسمى مظاهر السلام. يلتقي المسلمون من أصقاع الأرض في الموسم. لتتوثق بينهم عرى السلام والمحبة ويتحقق التعارف. تمثيلاً لوحدة الأمة. قال الله تعالى: «إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ». والحجاج على اختلاف ألسنتهم وألوانهم يشعرون بالمساواة التامة. إذ يعبدون إلهاً واحداً ويؤدون عبادةً واحدةً. ويلبسون لباساً واحداً:

أرى الناس أصنافاً ومن كل بقعةٍ
إليك انتهوا من غربةٍ وشجاتٍ
تساووا فلا الأنساب فيها تفاوتٌ
لديك ولا الأقدار مختلفات

وقد أمر الله تعالى بتجنيب البلد الحرام كل ما يعكس صفو السلام والأمان. فحرم سفك الدماء فيه، أو أخذ لقطته، أو قطع شجره. أو إخلاء خلاه. فصار يُضرب به المثل في الشعور العميق بالطمأنينة. فقيل: «أَمِنُ مِنْ حَمَامِ الْحَرَمِ وَأَلْفِ مِنْ حَمَامِ مَكَّةَ». في هذا المكان كان الرجل يلتقي مع قاتل أبيه فلا يتعرّض له احتراماً لقدسية الزمان والمكان. وفي هذا المكان الطاهر يتجرد الناس من الغلّ والإحن. إذ تتخلص النفوس مما ران عليها من الشهوات والأهواء. فلم تبق إلا أرواحهم النقية وضمايرهم السوية بعيدةً عن دوامة الحياة. وما يزحهما من مشاكل ومشاكل. وقد شجعت رسالة السلام من هذه البقعة الطاهرة لتعم أرجاء العالم. عندما نزل الوحي برسالة الإسلام على محمد نبي الرحمة والسلام. وما أحوج الناس في دنياهم اليوم إلى السلام والأمن. وقد اشتعلت نيران الفرقة والاحتراب في ديار المسلمين. ووقع الظلم عليهم والعدوان بالقتل والسجن والإخراج من الديار نازحين ولاجئين. ولا شك أن حرص المملكة العربية السعودية على توفير بيئة السلام والأمان والراحة في أرض السلام. هو تطبيق لكل هذه المعاني وتحقيق لرسالة الإسلام.

انطلاقاً من هذه المعاني، كان الاهتمام الكبير من حكومة المملكة العربية السعودية بالسلام والأمن والطمأنينة. وكانت الحملة التي أطلقت عليها أمانة منطقة مكة المكرمة عنوان: «الحج عبادة وسلوك حضاري». وتهدف الحملة إلى تحفيز الاحترام للمكان والحدث والإنسان. واحترام الأنظمة، وتنمية إحساس الحاج والمعتمر بمسؤوليته. وتشجيعه على المبادرة لتغيير سلوكياته واستشعار دوره الإنساني المسلم إزاء الحجاج وأداء الفريضة. وتختص الحملة هذا العام برفع شعار: «الحج رسالة سلام» بهدف تعزيز السلام من خلال الركن الخامس للإسلام. وتعظيم مكة المكرمة، وزيادة الوعي بشرف مكانة البلد الحرام واستشعار عظمة المشاعر المقدسة بين الجمهور عامة. وقاصدي البيت الحرام خاصة.

وتتضافر الجهود الرسمية والشعبية كافة لإجراح رسالة السلام في موسم السلام وفي أرض السلام. ومنها جهود رابطة العالم الإسلامي التي تواتق مؤسسوها وتعاهدوا على: «أن نؤدي فريضة الله علينا بتبليغ رسالته ونشرها في جميع أنحاء العالم وأن نؤكد من جديد إيماننا بأنه لا سلام للعالم إلا بتطبيق القواعد التي أرساها الإسلام». ووفق الله القائمين على تيسير هذه الفريضة وتهئية كل السبل لضيوف الرحمن حتى يؤدوا مناسكهم بكل يسر وسهولة. الساهرين على سلامة الحجاج وأمنهم. وفي مقدمتهم خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود. وسمو ولي عهده الأمين. وسمو ولي العهد. وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الرابطة

شهرية - علمية - ثقافية

الأمين العام

أ.د. محمد بن عبد الكريم العيسى

المدير العام للإعلام والمكاتب والمراكز الخارجية

د. حسن بن علي الأهدل

مدير إدارة الشؤون الإعلامية

محمد بن بكر حمدي

رئيس التحرير

د. عثمان أبو زيد عثمان

مدير التحرير

د. عبدالله حسين الشيعاني

المراسلات: مجلة الرابطة ص.ب ٥٣٧ مكة المكرمة

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٦٠١٠٧٧

سنترال: ٠٠٩٦٦١٢٥٦٠٠٩١٩

المراسلات على عنوان المجلة باسم رئيس التحرير

البريد الإلكتروني: rabitamag@gmail.com

الموضوعات والمقالات التي تصل إلى مجلة «الرابطة»

لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

للاطلاع على النسخة الإلكترونية للمجلة الرجاء زيارة موقع

الرابطة على الإنترنت www.themwl.org

أخبار العالم الإسلامي www.mwl-news.net

طبعت بمطابع تعليم الطباعة

رقم الإيداع: ١٤٢٥/٣٤٣ - ردمد: ١٦٩٥-١٦٥٨

منظومة الحج في الرؤية السعودية

رحب خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود - حفظه الله - في جلسة مجلس الوزراء التي عقدت يوم الاثنين ١١/١١/١٤٣٧هـ بطلائع ضيوف الرحمن القادمة لأداء فريضة الحج، موجها الجهات كافة بمضاعفة الجهود وتقديم جميع التسهيلات التي من شأنها التيسير على الحجاج .

ويحرص خادم الحرمين الشريفين على أن تبذل كافة القطاعات العالي والنفيس من أجل تقديم كافة الخدمات ليؤدي حجاج بيت الله الحرام مناسكهم في يسر وسهولة وأمن وأمان.

مجلة «الرابطة» تستعرض بعضاً من هذه الخدمات الجليلة المقدمة لقاصدي الحرمين الشريفين والمشاعر المقدسة.



المحتويات

- ٢..... العيسى في أول لقاء بمنسوبي الرابطة.
- ٧..... منظومة الحج في الرؤية السعودية.
- ١٣..... مؤتمر «المسلمون وأفاق التعايش» في سريلانكا.
- ١٦..... مؤتمر وسطية الإسلام ومكافحة الإرهاب والطائفية.
- ٢٠..... الحب في بيت الحبيب ﷺ.
- ٢٥..... من نماذج الحوار الحضاري في الأندلس.
- ٢٩..... مؤتمر رهاب الإسلام (الإسلاموفوبيا) في الدوحة.

المحتويات

العدد: ٥٩٩

ذو الحجة ١٤٣٧هـ - سبتمبر ٢٠١٦م

مؤتمر «المسلمون وأفاق التعايش» في سريلانكا



الأمين العام يستقبل الدكتور التركي

استقبل معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور/ محمد بن عبد الكريم العيسى في مكتبه بمكة المكرمة اليوم معالي الشيخ الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركي المستشار بالديوان الملكي الأمين السابق لرابطة العالم الإسلامي. وقدم معالي الشيخ التركي التهنية لمعالي الشيخ الدكتور العيسى بمناسبة تعيينه أميناً لرابطة العالم الإسلامي. سائلاً المولى جل وعلا أن يعينه في مهمته الجديدة لخدمة العمل الإسلامي.



اختتم مؤتمر «المسلمون وأفاق التعايش» الذي عقدته رابطة العالم الإسلامي بالتعاون مع المركز الإسلامي في سريلانكا، في يومي ١١/٩/٢٠١٦م و١٢/٩/٢٠١٦م. وقد افتتح المؤتمر دولة رئيس الوزراء السريلانكي رانيل وكرمسينغا؛ بكلمة شكر فيها الرابطة على عقد المؤتمر، واختيار هذا الموضوع المهم، مؤكداً حرص الحكومة السريلانكية على إشاعة ثقافة التعايش بين مكونات المجتمع السريلانكي، ورغبتها في التعاون مع القادة الدينيين في تحقيق أفضل صيغ التعايش الإيجابي.

- جهود الملك عبد العزيز في تيسير الحج بشهادة الرحالة المغاربة..... ٣٨
- الحج ودوره في جمع الكلمة ووحدة الصف الإسلامي..... ٤٢
- حجة الوداع .. وحقوق الإنسان بين الحقيقة والسراب..... ٤٤
- مقاصد الحج وآدابه..... ٤٨
- معالم إسلامية في خطبة الوداع..... ٥٤
- الحج .. دروس تربوية وعبر أخلاقية..... ٥٨
- نحو الارتقاء بصحة الحجاج..... ٦٠
- مدار..... ٦٤

العيسى في أول لقاء بمنسوبي الرابطة العمل سيكون واضحاً وشفافاً للجميع ليعكس حقيقة الإسلام وعالميته

إعداد : مدير التحرير

أنشأ معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكرم العيسى في كلمته أثناء لقائه بمنسوبي الرابطة في مقر الأمانة العامة بمكة المكرمة يوم الأحد ١١ ذو القعدة ١٤٣٧هـ الموافق ١٤ أغسطس ٢٠١٦م. بالجهود الكبيرة والتاريخية التي تقوم بها حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز- حفظه الله- لخدمة الإسلام والمسلمين ، ومن ذلك دعم رابطة العالم الإسلامي. لما تضطلع به من رسالة سامية تدعو إلى الله على بصيرة. حاملة رسالة العدل والسلم والإحسان والمحبة ونبذ التطرف والعنف والكراهية.



الشأن: «التدريب خيارنا الإستراتيجي الأول ورؤيتنا منذ قدومنا للوزارة وحققنا الكثير من التقدم، والاستثمار الأمثل في الموظفين». كما قام بتطوير المحاكم ومهنة المحاماة، جاعلاً شعار المرحلة: «المواطن في هذا البلد

وأضاف معاليه بأن العمل الإسلامي للرابطة يمثل أهمية بالغة في ظل التحولات والمستجدات المعاصرة. وأن العمل سيكون بإذن الله واضحاً وشفافاً للجميع ليعكس حقيقة الإسلام وعالميته وسماحته. امتداداً لجهود الرابطة عبر تاريخها الحافل منذ تأسست. وستعمل الرابطة بإذن الله على مواصلة مهامها العالمية. وفق ما يتطلع إليه الجميع.

ولمعالي الدكتور العيسى خدمات جليلة لدينه ووطنه وأمه من خلال عمله في العديد من المناصب كان آخرها عمله مستشاراً في الديوان الملكي. وقبل ذلك تولى مهام وزير العدل في المملكة العربية السعودية.

وللدكتور العيسى كثير من الرؤى والتطلعات للرقي بالعمل. فقد عمل إبان توليه حقيبة العدل على تحقيق كثير من المنجزات كان من أهمها إشراك مؤسسات القضاء في التدريب وحقق الكثير من التقدم باستثمار العنصر البشري حتى أثنى مجلس الشورى على أعمال وزارة العدل في مجال التدريب. فقد تم تدريب نحو ٣٣٠٠٠ موظف. وما ذكره في إحدى تغريداته بهذا



يُنعم بقضاءٍ نزيه وعادل وهو حق مكفولٌ للجميع». وفتح باب الحوار للجميع وقال : « نرحب بالجميع ونحن على استعداد تام لمناقشة الجميع في حوارٍ راق وصريح فأهلاً وسهلاً بكم».

- عضو سابق في اللجنة الوزارية العليا.
- عضو سابق في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالملكة العربية السعودية.
- اختير عضواً في هيئة كبار العلماء بالملكة العربية السعودية حتى ١٤٣٥هـ / ٢٠١٥م.

- الرئيس الفخري لمجلس وزراء العدل العرب.
- رئيس المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العدل العرب.
- رئيس مجلس إدارة الهيئة العامة للولاية على أموال القاصرين ومن في حكمهم.
- عضو الجمعية الفقهية السعودية.
- عضو - سابق - في الاتحاد العربي للتحكيم الدولي بجامعة الدول العربية.
- عضو لجنة تطوير قسم الأنظمة بجامعة الملك سعود.
- رئيس المجلس الاستشاري لكلية الحقوق والعلوم السياسية بجامعة الملك سعود.
- نائب - سابق - لرئيس مجلس أمناء الجمعية العربية للقضاء الإداري بجامعة الدول العربية.
قدم محاضرات عدة في : (الفقه والقانون والقضاء) في العديد من المؤسسات الأكاديمية داخل السعودية وخارجها.

مناصبه

عُرف مشواره الوظيفي بالتدرج في السلك القضائي. حيث تدرج فيه إلى أن ترقى إلى درجة قاضي محكمة

حياته

الدكتور العيسى من مواليد عام ١٣٨٥ هـ . حصل على درجة البكالوريوس في كلية الشريعة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. كما حصل على درجة الماجستير في الفقه المقارن من المعهد العالي للقضاء بجامعة الإمام. ثم الدكتوراه في الفقه المقارن من المعهد العالي للقضاء بجامعة الإمام بمرتبة الشرف الأولى مع التوصية بطبع الرسالة وتداولها بين الجامعات. وهو عضو هيئة تدريس بالدراسات العليا بجامعة الإمام بالمعهد العالي للقضاء. وعضو هيئة تدريس بقسم: «القانون العام» بكلية الأنظمة والعلوم السياسية بجامعة الملك سعود.

من أبرز العضويات العلمية :

- عضو هيئة تدريس بالدراسات العليا بجامعة الإمام - المعهد العالي للقضاء.
- عضو هيئة تدريس في قسم «القانون العام» في كلية الحقوق والعلوم السياسية في جامعة الملك سعود.
- رئيس المجلس الأعلى للقضاء.

تميز. وعلى إثر ذلك تم ترشيحه من قبل مرجعه إلى درجة رئيس محكمة تمييز فتعيّن عليها نائباً لرئيس ديوان المظالم نائب وزير. وبعد سنتين من ذلك عين وزيراً للعدل. وعضواً في هيئة كبار العلماء التي سبق أن عمل فيها فترة من الزمن على وظيفة باحث علمي. صدر قراراً تعيينه رئيساً للمجلس الأعلى للقضاء إضافة إلى عمله وزيراً للعدل في ٤٣٣/٥/٧ هـ.

مؤلفاته

له العديد من المؤلفات من أهمها:

١. التأخير وأحكامه في الفقه الإسلامي - رسالة علمية أوصت لجنة المناقشة والحكم بطباعتها وتداولها بين الجامعات.
٢. أحكام غير المسلمين في مجلس القضاء الشرعي.
٣. تأسيس الحكم القضائي: محكم.
٤. الصياغة التنظيمية وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية.
٥. محاضن في الفكر والمنهج.
٦. البطلان الإجرائي في الفقه ونظام المرافعات الشرعية: (ورقة عمل طبعتها وزارة العدل).
٧. الاعتداء الجنائي بالأدواء النفسية والعقلية: (ورقة عمل).
٨. قراءة في الآلية التنفيذية لنظام ديوان المظالم: (ورقة عمل).
٩. الرقابة الدستورية في المملكة العربية السعودية: دراسة تطبيقية لتقرير مفهوم الرقابة الدستورية في المملكة بشقيها السياسي والقضائي. مع تقرير فكرة التدرج التشريعي في رقابة الامتناع من واقع السوابق القضائية.

مناشطه العلمية

قدم العديد من الدراسات والبحوث العلمية لهيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء إبان عمله باحثاً علمياً في الهيئة. أشرف وناقش عدداً من رسائل الماجستير والدكتوراه. في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. وجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية. وجامعة الملك سعود. أشرف على إصدار: «مجموعة الأحكام والمبادئ الإدارية» - بتصنيفها الجديد - في باكورة إصدار مشمولة بخمسة

مجلدات. أسندت إليه مهمة حكيم العديد من البحوث العلمية من قبل بعض المجالس والدوريات العلمية. من بينها مجلة: «العدل» التي أصبح فيما بعد رئيساً لهيئة إشرافها. كما أصدر مجلة: «القضائية» التي رأس هيئة إشرافها كذلك. ألقى العديد من المحاضرات على قضاة ديوان المظالم ضمن برامج الديوان التدريبية.

ألقى العديد من المحاضرات عن التنظيم القضائي في المملكة على طلبة دبلوم المحاماة التطبيقي بدعوة من الغرفة التجارية الصناعية بمدينة الرياض. وكُرّم بدرع اللجنة الوطنية للمحامين بغرفة الرياض؛ لإسهامه في دعم مهنة المحاماة.

مثل ديوان المظالم - في حلقات نقاش إثرائية - مع العديد من الوفود القضائية والحقوقية الأجنبية التي زارت المملكة.

رشحته المنظمة العربية للتنمية الإدارية بجامعة الدول العربية في ٧ مارس ٢٠٠٧م ليكون خبيراً ومحدثاً في برامجها.

حصل على العديد من شهادات التقدير والدروع والأوسمة. كما عرف بخلفيته في الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي وله في هذا أطروحات وبحوث. وُصف بنقل خطاب القضاء السعودي إلى العالمية من خلال زيارته الدولية وحواراته ومحاضراته.

جمع بين منصب وزير العدل وبين العمل الأكاديمي أستاذاً غير متفرغ في المعهد العالي للقضاء بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. وأستاذاً غير متفرغ كذلك في كلية الحقوق والعلوم السياسية في جامعة الملك سعود.

لاقت رحلاته الخارجية أصداءً متميزة. استطلع من خلالها إعطاء انطباع إيجابي عالٍ عن مكانة وسمعة العدالة السعودية.

عُهد إليه بمحاورة الكثير من الوفود الأجنبية التي زارت السعودية بأطروحاتها الحقوقية وأبعادها السياسية. كان آخرها وفد الحريات الدينية الأمريكي والمفوضية السامية لحقوق الإنسان.

اختير في العام (٢٠١١ م) ضمن أربع شخصيات فكرية سعودية لتمثيل الحكومة في الخارج في المناقشات والحوارات المتعلقة بالشؤون الدينية والحقوقية في الداخل السعودي.

منظومة الحج في الرؤية السعودية خادم الحرمين الشريفين يوجه الجهات الحكومية بمضاعفة الجهود لتيسير على الحجاج

إعداد : مدير التحرير

مليون معتمر مناسكهم بكل يسر وسهولة. إضافة لحركة الحج المتعاظمة من مختلف دول العالم الإسلامي والجاليات والأقليات الإسلامية في دول العالم لتأدية فريضة الحج حيث أنجزت حكومة المملكة لذلك أكبر توسعة للحرمين الشريفين في التاريخ الإسلامي. فيما جاء تطوير المشاعر المقدسة خطوة مهمة لاستيعاب هذه الأعداد المتزايدة سنوياً وضمن خطة لاستيعاب ٣٠ مليون حاج ومعتمر في السنوات القادمة وفقاً لرؤية المملكة ٢٠٣٠ .

الاستراتيجية الشاملة

لقد سخرت حكومة المملكة كافة الجهود من أجل تطوير الاستراتيجية الشاملة للمشاعر المقدسة برعاية خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي العهد وسمو ولي ولي العهد - حفظهم الله - حيث شملت الاستمرار في توسعة الحرمين الشريفين وإجاز شبكة قطار المشاعر المقدسة ومشاريع إسكان وخيم الحجيج والانتهاج من توسعة وإنشاء مطارات ضخمة لاستقبال ضيوف الرحمن وتوفير إدارة أمنية فاعلة ومنجزة للحفاظ على أمن الحجاج واستقرارهم في ظل تحديات الإرهاب ومحاولة تسييس شعائر الحج . كما جاءت توسعة المملكة لمنظومة الخدمات الصحية لضيوف الرحمن لتشمل تجهيز المستشفيات ومراكز الرعاية الصحية لرعايتهم وتقديم خدمات معلوماتية وتوعوية وتموينية ونظافة شاملة ودائمة في المشاعر على مدار الساعة . مع خدمات متقدمة للصرف الصحي وعمليات التشجير والإنارة في المشاعر المقدسة وتنفيذ توسعات مستمرة لجسر الجمرات . الأمر الذي يؤكد أهمية الدور الكبير الذي توليه المملكة لحجاج بيت الله الحرام كل عام .

صناعة الحج والعمرة

لقد شهدت صناعة الحج والعمرة مرحلة بارزة من التطوير والتنظيم والتخطيط والتنمية الدائمة والشاملة التي تقودها حكومة خادم الحرمين الشريفين نحو خدمة ضيوف الرحمن . وهو ما أكده وزير الحج والعمرة الدكتور محمد صالح بن طاهر بنتن في تصريح له أخيراً لوكالة الأنباء السعودية. أن وزارة



رحب خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود - حفظه الله - في جلسة مجلس الوزراء التي عقدت يوم الاثنين ١١/١١/١٤٣٧هـ بطلائع ضيوف الرحمن القادمة لأداء فريضة الحج. موجهاً الجهات كافة بمضاعفة الجهود وتقديم جميع التسهيلات التي من شأنها التيسير على الحجاج .

ويحرص خادم الحرمين الشريفين على أن تبذل كافة القطاعات الغالي والنفيس من أجل تقديم كافة الخدمات ليؤدي حجاج بيت الله الحرام مناسكهم في يسر وسهولة وأمن وأمان. مجلة « الرابطة » تستعرض بعضاً من هذه الخدمات الجليلة المقدمة لقاصدي الحرمين الشريفين والمشاعر المقدسة.

منظومة الحج

ختل منظومة الحج والعمرة أولوية لدى حكومة المملكة وبأتي هذا الحرص امتداداً للدور التاريخي للقيادة السعودية - أيدها الله - في خدمة الإسلام والمسلمين . وجاءت رؤية المملكة ٢٠٣٠ لتقدم استراتيجية متكاملة لتطوير هذه المنظومة وإتاحة الفرصة لعدد أكبر من المسلمين في تأدية مناسك الحج والعمرة في وقت يتعاظم لدى المسلمين أهمية الحفاظ على هويتهم الإسلامية واستكمال متطلبات شعائرهم الدينية . إن هذه الاستراتيجية جسدت من خلال استقبال المملكة وجأحها في إدارة أكبر موسم للعمرة. حيث أدى نحو ٦,٥



المسار الإلكتروني

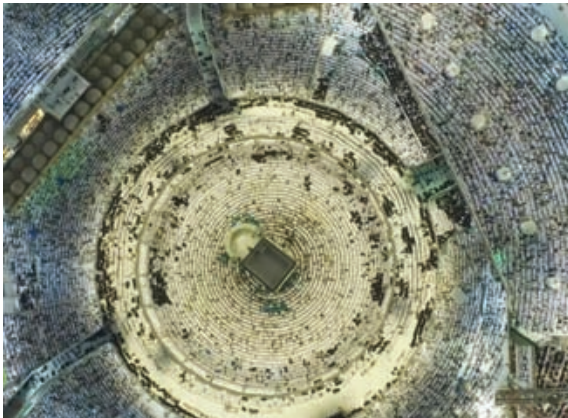
استحدثت وزارة الحج والعمرة خدمة المسار الإلكتروني للحجاج لتسهيل عمليات الحج والعمرة عبر استخدام تقنيات الإنترنت، ولتسريع آلية الحصول على التأشيرات إلكترونياً، واختصار زمن الإجراءات من بوابة الوزارة على شبكة الإنترنت وأتمتة الحصول على تأشيرات الحج والعمرة لطالبيها عملياً وما تشمله من الخدمات المرافقة لها، وذلك لتسهيل حصول الحجاج على تأشيرة الحج إلكترونياً وتقليل مدة دخول الحجاج. إذ يتيح نظام المسار الإلكتروني للحج وللعمرة إنهاء إجراءات طلب تأشيرة الحج والعمرة، وحزمة الخدمات في وقت قياسي لا يتجاوز بضع دقائق، ويأتي ذلك في إطار خطة طموحة لمضاعفة أعداد الحجاج والمعتمرين خلال السنوات الخمس القادمة.

وطبقت وزارة الحج والعمرة لأول مرة في موسم حج هذا العام الأسسورة الإلكترونية على الحجاج بهدف سرعة التعرف على الحجاج، وقراءة بياناتهم إلكترونياً خاصة الذين لا يتحدثون العربية، وتمكين الوزارة من التعرف على بيانات الحجاج ومقر سكنه وكافة المعلومات اللازمة، التي تمكن من مساعدة الحجاج على ضوء بياناتهم في الأسسورة الإلكترونية، مثل خدمة إرشاد التائهين الأمر الذي سيسهم في رفع كفاءة الأداء في قطاع الحج والعمرة، واختصار زمن الإجراءات، وتطبيق

الحج والعمرة تستعد للانتقال من خدمة الحجاج إلى صناعة الضيافة، والانتقال من العمل الموسمي إلى ثقافة العمل على مدار العام، وبناء منظومة فاعلة من خدمات واقتصاديات الحج والعمرة لتحقيق رؤية المملكة ٢٠٣٠، ومبادرات برنامج التحول الوطني ٢٠٢٠ بتضافر كافة الجهود للمؤسسات ذات العلاقة بمنظومة الحج والعمرة.

عملية النقل

إن عملية النقل المنظمة للحجاج، واحدة من المهام الرئيسية لحج ناجح كل عام حيث تؤثر انسيابية عمليات النقل إيجابياً على تمكين الحجاج من تأدية واجباتهم ببسر وسهولة مشيراً إلى تجهيز وزارة الحج والعمرة عبر ١٨ شركة نقل سعودية ١٨ ألف حافلة مكتملة التجهيزات لنقل أكثر من مليون و ٤٠٠ ألف حاج من خارج المملكة خلال موسم حج هذا العام ١٤٣٧ منها ١٦٩٦ حافلة جديدة تم توفيرها العام الماضي، حيث يتم سنوياً استبعاد عدد من الحافلات الملقاة نظاماً من الأسطول بسبب انتهاء عمرها الافتراضي حفاظاً على سلامة الحجاج خلال تنقلهم بين مكة المكرمة والمدينة المنورة والمشاعر المقدسة أثناء أداء المناسك واستبدالها بحافلات جديدة ما أدى لتوفير ٢٤ ألف وظيفة سائق وفني موسمية تطرحها شركات النقل للشباب السعودي.



الشفافية المعلوماتية، وإتاحتها لمتخلف الجهات العاملة في منظومة الحج والعمرة .

كما تم إلزام مكاتب شؤون الحج في مختلف دول العالم التي يفد منها الحجاج ، بتوفير بيانات الحجيج قبيل وصولهم لمنافذ الدخول في المملكة، لتشتمل الأسورة الإلكترونية على الرقم الحدودي ورقم التأشيرة ورقم جواز السفر وكافة البيانات، التي يمكن استخدامها لاستدعاء كافة بيانات الحجاج الموجودة في قواعد بيانات الوزارة، والتي تشمل صورة الحجاج والبيانات الأساسية له و البيانات المناط بها خدمته، وكذلك بيانات السكن بمكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، والمشاعر المقدسة وهواتف كافة المعنيين بخدمة الحجاج .

وهذه المبادرة الإلكترونية التي أطلقتها الوزارة ستمكن منظومة الحج والعمرة في المملكة من استدعاء كافة المعلومات والبيانات الموجودة عن الحجيج بواسطة جميع أنواع الهواتف الذكية أو الأيبادات من خلال تطبيق متاح لجميع العاملين في مجال خدمات ضيوف الرحمن من منسوبي الوزارة والقطاعات الأخرى الأمنية والخدمية مما يساهم في تطوير الخدمات المقدمة لضيوف الرحمن وتطبيق برامج الجودة وتسريع معدلات الإنجاز في العمليات التشغيلية لحج هذا العام .

توسعة الحرم الثالثة

تعد التوسعة السعودية الثالثة التي دشنتها خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود - حفظه الله - امتداداً للتوسعات التاريخية السابقة التي بدأت بأمر الملك المؤسس عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - رحمه الله - وأتمها أبناؤه البررة من بعده الملك سعود وفيصل - رحمهما الله - ثم توسعة الساحات الشرقية التي تمت في عهد الملك خالد - رحمه الله - أعقبها توسعة المسجد من الجانب الغربي التي تمت في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد - رحمه الله - تلاها توسعة المسعى التي تمت في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله - ثم التوسعة التي أمر بها الملك عبدالله بن عبدالعزيز - رحمه الله - وتستكمل هذه التوسعة الكبرى في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود - حفظه الله - .

لقد دشنت خادم الحرمين الشريفين - أيده الله - خمسة مشروعات رئيسية هي : مشروع مبنى التوسعة الرئيسي، ومشروع الساحات ، ومشروع أنفاق المشاة ومشروع محطة الخدمات المركزية للحرم، ومشروع الطريق الدائري الأول، وتبقى عدد من المشروعات وهي : مباني توسعة المطاف بكامل تجهيزاتها ومرافقها ، ومباني المساطب والمباني الأمنية، والمستشفى ليقفز معها استيعاب المسجد الحرام ليصل بإذن الله إلى ٨٥٠ ر ١٠٠٠ مصل .

وبين التقرير أن مسطحات البناء تبلغ (١,٤٧٠,٠٠٠) متر مربع ، كما يبلغ مسطح بناء مبنى التوسعة (٣٢٠,٠٠٠) م^٢، لاستيعاب (٣٠٠,٠٠٠) مصلٍ أما الساحات فيبلغ مسطح

البناء فيها (١٧٥,٠٠٠) م^٢ لاستيعاب (٢٨٠,٠٠٠) مصل، وتبلغ مسطحات الجسور (٤٥,٠٠٠) م^٢ لاستيعاب (٥٠,٠٠٠) مصل . ومباني الخدمات مسطح البناء فيها (٥٥٠,٠٠٠) م^٢ لاستيعاب (٣١٠,٠٠٠) مصل . فيما يبلغ مسطح البناء للمصاطب الشرقية (٢١٣,٠٠٠) م^٢ لاستيعاب (١٥٠,٠٠٠) مصل .

وتمت زيادة مساحة المسعى حيث بلغ مسطح البناء (٥٧,٠٠٠) م^٢ لاستيعاب (٧٠,٠٠٠) مصل . وزيادة في الطاقة الاستيعابية من (٤٤,٠٠٠) شخص / ساعة في السعي إلى (١١٨,٠٠٠) شخص / ساعة .

وتمت الزيادة في توسعة المطاف حيث وصل مسطح البناء (١٠,٠٠٠) م^٢ لاستيعاب (٩٠,٠٠٠) مصل . فيما بلغ مسطح بناء مبنى الحرم القائم قبل التوسعة (٣٥٦,٠٠٠) م^٢، لاستيعاب (٦٠٠,٠٠٠) مصل بما في ذلك المسعى قبل التوسعة والساحات . بينما يقدر إجمالي الطاقة الاستيعابية للحرم المكي الشريف بعد استكمال كافة عناصره بـ (١,٨٥٠,٠٠٠) مصل .

توسعة المطاف

المطاف قبل التوسعة كان على النحو التالي: عدد الطائفين ٥٠,٠٠٠ طائف / ساعة . وعدد المصلين ١٨٨,٠٠٠ مصل . والمساحة الإجمالية حوالي ١٥٠,٠٠٠ م^٢ . فيما أصبحت بعد التوسعة على النحو التالي: عدد الطائفين ١٠٧,٠٠٠ طائف / ساعة . وعدد المصلين ٢٧٨,٠٠٠ مصل والمساحة الإجمالية حوالي ٢١٠,٠٠٠ م^٢ . والمرحلة الأولى عام ١٤٣٤هـ بمساحة مبنية حوالي ٤٨,٠٠٠ م^٢ . والمرحلة الثانية عام ١٤٣٥هـ بمساحة مبنية حوالي ٨٦,٠٠٠ م^٢ . والمرحلة الثالثة عام ١٤٣٦هـ بمساحة مبنية حوالي ٧٦,٠٠٠ م^٢ وتقدر إجمالي المساحة المبنية بحوالي ٢١٠,٠٠٠ م^٢ .

الأكبر تاريخياً

تعتبر هذه التوسعة المباركة الأكبر على مدار التاريخ حيث استخدمت فيها أحدث تقنيات البناء والأنظمة الحديثة، ونورد بعض الإحصائيات العامة حتى تم إنجاز المشروع بحمد الله حيث بلغت كمية القطع الصخري بالمشروع (٣م ١٣,١٠٠,٠٠٠) . وعدد العقارات المزالة ٥,٨٨٢ عقارا . والحرسانة المسلحة بكافة الأصناف (٣م ٣,٠٠٠,٠٠٠) . وحديد التسليح (٨٠٠,٠٠٠ طن) و كميات الحجر الصناعي (٣٧,٨٠٠ قطعة) . ومسطحات الرخام (١,٢١٠,٠٠٠ م^٢) . والنجف كافة المقاسات (١,٠٢٠ جفة) ووحدات الإضاءة الحائطية (٣,٦٠٠ وحدة)، والسلالم الكهربائية (٦٨٠ سلماً) . والمصاعد الكهربائية ١٥٨ مصعداً وعدد مداخل مبنى التوسعة (١٨٨) مدخلاً ودورات المياه في كامل المشروع (١٢,٤٠٠) والمواضع (٨,٦٥٠) وصناديق مكافحة الحريق ٢,٥٠٠ صندوق. أما القبة الرئيسية بمبنى التوسعة فجاءت على النحو التالي: عرض القبة الرئيسية (٣٦,٠٠٠ متر طولياً) وارتفاعها (٢١,٠٠٠ متر طولياً) . وارتفاع القبة الرئيسية من الدور الأرضي (٨٠,٠٠٠

استخدام لوحات ضوئية لعرض الرسائل الإرشادية المتغيرة طبقاً لتوصيات إدارة الحشود والأمن.

مجمع الخدمات

يحتوي المشروع على مجمع للخدمات المركزية وعدد من العناصر تتمثل في محطة كهرباء الضغط العالي وتحتوي على (٦) محولات قدرة كل منها (٦٧) ميغا فولت أمبير ومحطة المولدات الاحتياطية تشمل (١٤) مولد قدرة كل منها (٥,٥) ميغا فولت أمبير ومحطة التكييف وتبريد المياه بطاقة (١٢٠,٠٠٠) طن تبريد مع إمكانية إضافة (٤٠,٠٠٠) طن تبريد ومحطة جميع النفايات المركزية بواسطة نظام التفرغ الآلي بطاقة قصوى (٦٠٠) طن / يوم ومحطة خزان ومضخات مياه مكافحة الحرائق سعة الخزان (٩,٠٠٠) م^٣. وخزان مياه التبريد تحت الأرض سعة (١٦,٠٠٠) م^٣. ومبنى الخدمات وهو مبنى متعدد الوظائف ونفق خدمة من مجمع الخدمات حتى الحرم بطول (١٠٢,٠٢٢) متراً وعرض (١٦) متراً. ويحتوي على تمديدات المياه المثلجة وتمديدات المياه وتمديدات نظام إطفاء الحريق وتمديدات نظام جميع النفايات وتمديدات نظام الصرف وتمديدات كابلات الكهرباء.

ويقدر مسطح بناء المباني الأمنية بـ (٥٤١,٢٧٦) م^٢ وتشتمل على الموقع الأمني رقم ١ ويستوعب ٨,٧٦٠ فرداً. وإجمالي مساحة المباني فيه (١٨٥,٠٠٠ م^٢) ومساحة الأرض (٥٠,١٦٠) متراً مربعاً. والموقع الأمني رقم ٢ ويستوعب (٢,٨٤٨) فرداً. وإجمالي مساحة المباني فيه (٩٦,٠٠٠) متر مربع ومساحة الأرض (٧,٣٦٤) متراً مربعاً والموقع الأمني رقم ٣ ويستوعب (٤,٩٨٨) فرداً وإجمالي مساحة المباني (١٥١,٠٠٠) متر مربع ومساحة الأرض (١٢,٢٣٠) م^٢ والموقع الأمني رقم ٤ ويستوعب ٢,٠١٦ فرداً وإجمالي مساحة المباني (٦٧,٠٠٠) م^٢. أما مبنى مستشفى الحجون فيبلغ إجمالي عدد الأسرة فيه ٢٠٠ سرير. وإجمالي مساحة المباني (١٧٨,٩٥٠ م^٢) ومساحة الأرض (٢٢,٠٦٠) م^٢.

تصريف الأمطار

أما أنظمة الصرف الرئيسية فهي تتمثل في صرف مياه الأمطار ونظام جمع الخلفات والتخلص من النفايات بواسطة نظام التفرغ الآلي ونظام سحب الغبار والأتربة ونظام تصريف مياه زمزم ونظام توزيع مياه زمزم المبردة. كما جاء في التقرير إحصاء عن قوة التغذية الكهربائية المستخدمة في المشروع حيث بلغت محطة كهرباء وسط مكة (٢٠٠٠ م.ف.أ.) ومحطة كهرباء الشامية ١ (٤٠٢ م.ف.أ.) ومحطة كهرباء الشامية ٢ (٤٠٢ م.ف.أ.) ومحطة الخدمات المركزية (٤٠٢ م.ف.أ.) ومحطة أبو طينجة (٤٠٢ م.ف.أ.) ومحطة المباني الأمنية (٤٠٢ م.ف.أ.) ومحطة المكتبة (٤٠٢ م.ف.أ.) . حيث بلغ إجمالي قوة محطات الكهرباء (٤,٤١٢ م.ف.أ.) . فيما بلغت أطوال الكابلات الكهربائية (١٠٤,٣١٧ م.ط.) . أما العناصر الكهربائية بالمبنى فبلغت (٤) محطات جهد متوسط رئيسية بالمبنى والمساحات والمصاطب (٣٩) محطة جهد فرعية.

متر طولي) ووزنها في حدود (٨٠٠ طن) . وبلغت أطوال أنفاق المشاة والطوارئ (٥,٣١٣ متراً طويلاً) وأنفاق الكهرباء والخدمات والصرف (١,٩٢٢ متراً طويلاً) ونفقي الصرف الصحي بقطر ٢٨٠٠ مم (٤,٦٤٣ متر طولي). كما بلغت أطوال التمديدات الصحية المستخدمة في المشروع (١,٠٠٠,٠٠٠ متر) و أطوال مجاري الخدمات (DUCTS) ٥٠,٠٠٠ متر.

ويحتوي المشروع على أنظمة إلكتروميكانيكية متطورة منها نظام الصوت بإجمالي عدد سماعات يبلغ ٤٥٢٤ سماعة . ونظام إنذار الحريق وأنظمة النظافة كنظام شفت الغبار المركزي. وتم توفير سماعات من النوع الرقمي الخطي. طبقاً لدراسة صوتية دقيقة للحصول على خدمة صوت فائقة الجودة شاملة التوسعة المطلوبة في النظام القائم مع دمج النظام الجديد لتوسعة الشامية. كما سيتم توفير نظام صوتي احتياطي يتم استخدامه عند الطوارئ؛ إضافة إلى توفير نظام إنذار ضد الحريق في غرف الخدمات ومحطات الكهرباء والخازن وسيكون النظام من النوع المعنون (Intelligent Addressable) ويتم ربطه بلوحة الإنذار الرئيسية الحالية الخاصة بالحرم الشريف.

الأنظمة التلفزيونية

كما تم توفير متطلبات الإذاعة والتلفزيون من حجات ومساحات لتكيب المعدات والكاميرات والهوائيات للتوسعة والمنارات وتوفير استديو إذاعي وتلفزيوني جديد بمبنى الخدمات بإجمالي عدد كاميرات (٤٤ كاميرا) . وسيتم توفير كاميرات مراقبة جديدة من النوع الحديث ثابتة ومتحركة وسيتم تزويد بعضها بأجهزة IR illuminator لكي تعمل في حالات الطوارئ بإجمالي عدد كاميرات (٦,١٣٥ كاميرا). ووفر المشروع وحدات ساعات فرعية (Slave Clock Units) ماثلة للساعات القائمة بالمسجد الحرام لتغطية مناطق توسعة الشامية وتوسعة النظام المركزي الحالي لاستيعاب الساعات الجديدة بإجمالي عدد ساعات (١,٨٦٠ ساعة) . وسيتم استخدام لوحات تحكم عند أبواب الغرف والفراغات الإلكترونية ميكانيكية وغرف الاتصالات وغرف جميع النفايات. كما تم توفير مخارج تليفونات بغرف الخدمات والمكاتب وغرف الفتاوى شاملة توفير مقسم جديد (EPABX) والخطوط الخارجية اللازمة مع ربطها بمقسم الحرم الحالي شاملة عمل التوسعة والبرمجة اللازمة . كما يتضمن المشروع نظام النداء لإذاعة الإعلانات الصوتية للأشخاص العاملين بغرف التحكم والغرف الخاصة بوزارة الداخلية . أما نظام الراديو والاتصالات اللاسلكية سيكون النظام من النوع الرقمي (IP Digital) وسيستخدم لربط أبواب الحرم والتوسعة بمكاتب الرئاسة المختصة.

وسيتم التنسيق مع شركات الاتصالات لتوفير نظام تغطية الجوال (GSM/UMTS/LTE) لتوسعة المسجد الحرام . وتم في المشروع استخدام كاميرات المراقبة الأمنية لمراقبة الحشود كما سيتم توفير كاميرات (حساسات خاصة بمراقبة أعداد الحشود عند المداخل / المخارج) . وأماكن الحركة الرأسية وسيتم



ويشمل المشروع زيادة الطاقة التخزينية لخزان ملكان القائم سعة (٨٠,٠٠٠)م^٣ بإنشاء خزان معدني جديد سعة (١٤٠,٠٠٠) م^٣ بجوار الخزان القائم وتنفيذ خطوط إمدادات الوارد والمنصرف لتغذية دورات مياه الحرم المكي الشريف وإنشاء خزان معدني جديد بسعة ١٤٠,٠٠٠ م^٣ بجوار الخزان القائم سعة ٨٠,٠٠٠ م^٣ وبناء محطة رفع ومد أربعة خطوط إمداد واردة ومنصرف ذات القطر (٨٠٠ ملم) وطول يقارب (١٧,٣٥٠) متراً تربط مكونات المشروع بعضها ببعض لتغذية حمامات الحرم المكي الشريف.

كما يشتمل المشروع على بناء خزان أرضي معدني جديد سعة (١٤٠,٠٠٠ م^٣) . ومحطة رفع وتشتمل محطة ضخ رئيسية بها مضخات ومحطة للمحولات الكهربائية الخاصة بالتغذية الاعتيادية ومحطة المولدات الاحتياطية الخاصة بالتغذية في حالة الطوارئ وخزان مياه سعة (٣,٤٠٠ م^٣) ومد خطوط النقل الواردة والمنصرف بطول يقارب (١٧,٣٥٠)م.ط.

الطرق الدائرية

يبلغ الطول الإجمالي للطريق الدائري الأول حوالي (٤,٨٠٠) متر. فيما يبلغ الطول الإجمالي للأجزاء القائمة من الطريق. التي يستفاد منها حالياً حوالي (١,١٧٠) متراً . وهي مقسمة كالآتي : بداية من مداخل الأنفاق القائمة شرق مشروع وقف الملك عبدالعزيز وبإتجاه شارع المسجد الحرام بمنطقة "شعب علي" بطول حوالي (١,٠٢٠) متراً . وأنفاق الفلق القائمة بالضلع الشمالي للطريق الدائري الأول بطول حوالي (١٥٠) متراً . ويبلغ طول الأجزاء الجاري تنفيذها حالياً خارج نطاق المشروع حوالي (٨٥٠) متراً . مقسمة منها جزء ضمن مشروع التوسعة السعودية الثالثة بطول حوالي ٥٢٠ متراً. وجزء ضمن مشروع تطوير جبل عمر بطول حوالي (٣٣٠) متراً.

ويتكون مسار الطريق الدائري الأول من طرق سطحية وجسور وأنفاق (قائمة وجديدة) بالإضافة لمجموعة من المنحدرات تصل الطريق الدائري بالطرق المحيطة. ومكونات وعناصر المشروع. وإجمالي أطوال الجسور بالطريق الدائري

كما يضم المشروع إنشاء خط مياه معالجة بقطر (١٠٠٠) مم وبطول حوالي (٣٠) كم تقريباً لتغذية مجمع الخدمات المركزية من موقع محطة المعالجة بمنطقة حدّا. كما يشمل تنفيذ الخط تنفيذ محطة رفع أولى (قدرتها ٥٠٠ ل/ث ورافع مانوميترى ٣,٥٠ بار) ومحطة رفع ثانية (قدرتها ٥٠٠ ل/ث ورافع مانوميترى ١٠,٥٠ بار) بالإضافة إلى خزان مياه سعة (٣م^٣ ٩٠,٠٠٠) ومحطة رفع ثالثة (قدرتها ٥٠٠ ل/ث . ورافع مانوميترى ١٣,٥٠ بار) بالإضافة إلى خزان مياه سعة (٥,٢٠٠ م^٣).

كما اهتم المشروع بإنشاء خط مياه احتياطي بقطر (٧٠٠) مم وبطول (٢,٤) كم تقريباً لتغذية مجمع الخدمات المركزية بالمياه في حالات الطوارئ من وارد خزان الكواشك. بينما احتوى المشروع على نفق صرف صحي بقطر داخلي (٢٨٠٠) مم من منطقة التوسعة السعودية الثالثة (شارع جبل الكعبة) حتى نقطة الربط بجوار قصر الضيافة. ومن أنفاق السليمانية حتى غرب مجمع الخدمات المركزية.

ويتكون الخط الأول نفق الصرف الصحي بقطر داخلي (٢٨٠٠م) وبطول يبلغ حوالي ٣,٣٢ كم بدءاً من منطقة مشروع خادم الحرمين الشريفين لتوسعة المسجد الحرام عند شارع جبل الكعبة ومروراً بمجمع الخدمات المركزية ووصولاً إلى منطقة قصر الضيافة شمال المسجد الحرام لخدمة مشروع التوسعات الشمالية للحرم المكي الشريف ومجمع الخدمات المركزية ومنطقة الشامية. مع الأخذ بالاعتبار كافة مهايي النزول لأعمال التفتيش والصيانة وجميع الاحتياطات اللازمة لسلامة المنشآت والمرافق المجاورة أثناء مرحلة التنفيذ.

أما الخط الثاني نفق الصرف الصحي بقطر داخلي ٢٨٠٠م وبطول يبلغ حوالي ١,٣٢٣ كم بدءاً من مخرج أنفاق السليمانية حتى مجمع الخدمات المركزية لخدمة منطقة الشامية. مع الأخذ بالاعتبار كافة مهايي النزول لأعمال التفتيش والصيانة وجميع الاحتياطات اللازمة لسلامة المنشآت والمرافق المجاورة.

حوالي ١٣٨٤م. وجسر أم القرى ٣٠٨ م. وجسر جبل الكعبة ٢٣٢ م. وجسر تقاطع إبراهيم الخليل ١١٥ م. وجسر تقاطع طريق أجياد ٩٩ م. والجزء المشترك مع محطة كدي (١) = ٣٩٠ م. وجسر وصلة المسخوطة ١١٨ م. وجسر المنحدر خلف محطة كدي (١) ١٢٢ م. وإجمالي أطوال الأنفاق حوالي ١٧١١ م. نفق القشاشية الأيمن. ٤٨٣ م. ونفق القشاشية الأيسر ٤٨٥ م. وامتداد نفق البركة ٧٤٣ م. ويتكون مشروع محطات النقل الثلاث على الطريق الدائري الأول بمكة المكرمة من عنصرين أساسيين محطات النقل على الطريق الدائري الأول ومشروع خدمات البنية التحتية.

توسعة المدينة المنورة

كما يعد مشروع التوسعة الكبرى للمسجد النبوي الشريف الذي أمر به خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز أيده الله لتضاعف مساحة المسجد والساحات المحيطة بالمسجد النبوي كأكبر توسعة في تاريخ المسجد النبوي وما يرتبط بالتوسعة من مشاريع للتجميل والتطوير والتحسين. وتطوير المناطق المركزية المحيطة بالمسجد النبوي لاستيعاب المزيد من الحجاج والمعتمرين والزوار من خارج وداخل المملكة. حيث من المتوقع أن يصل زوار المدينة المنورة على مدار العام إلى ٣٠ مليون زائر خلال الـ ١٥ عاما القادمة.

إن الجهود المبذولة حالياً تسابق الزمن لاستكمال توسعة المسجد النبوي ومشاريع التجميل والتحسين وإيصال الخدمات اللازمة واستكمال البنية التحتية. يضاف لها مشاريع متعددة أخرى ومن أهمها تطوير درب السنة الذي يربط المسجد النبوي الشريف بمسجد قباء لتقام على جوانبه مشروعات عمرانية واستثمارية ومحلات تجارية تراثية وبوابات المدينة المنورة القديمة على غرار العمارة المدنية للحفاظ على تراث المدينة المنورة.

وسوف يخصص جزء من تلك المحلات لصناعات تقليدية وتراثية وحرف شعبية. ويحتوي المشروع أيضا على مشاريع عمرانية مخصصة للمكتبات والمتاحف والمراكز الحضارية الأخرى ومشروع مجمع مكتبات الملك عبدالعزيز الوقفية التي أعلن نظامها الأساسي والذي يعد ثاني أهم مجمع مكتبات في العالم الإسلامي بما حوّه من نفائس المخطوطات المتنوعة في مختلف العلوم. ومن أهمها أكبر مجموعة في العالم لمخطوطات المصحف الشريف وأكثر من ١٦٠ ألف كتاب نادر.

توسعة قباء

كما يستمتع زوار المدينة المنورة بالسير على الأقدام بين المسجد النبوي الشريف ومسجد قباء تأسيا برسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم الذي حدثنا عن فضل زيارة مسجد قباء وأن أجر الزيارة يعادل فضل العمرة. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي مسجد قباء كل يوم سبت زائرا ماشيا وراكبا.

وسوف تتم توسعة مسجد قباء والمناطق المحيطة به التي

سوف تضاعف مساحة المسجد والساحات المحيطة به وتوفير مواقف السيارات والخدمات الأساسية للمسجد. وسوف يرتبط مسجد قباء كغيره من المشاريع التنموية بشبكة النقل العام الداخلي لربط المسجد النبوي وقطار الحرمين والمشاريع التنموية بالمدينة المنورة من خلال شبكة نقل عام داخلي متطورة وربط بقية أنحاء المدينة المنورة بشبكة مواصلات مغذية للنقل العام الداخلي. والجهود المبذولة حاليا تأتي للمحافظة على المآثر الإسلامية بالمدينة المنورة وترميمها وتعمير ما اندثر منها. والعمل جار لاستكمال مشروع دار الهجرة لإسكان الحجاج والمعتمرين والزوار بعد ربطه بشبكة النقل الداخلي وبدء مشاريع مدينة المعرفة الاقتصادية وغيرها من المشاريع الاستثمارية العمرانية. وتستمر جهود شركة المقر المملوكة لأمانة منطقة المدينة المنورة لتطوير المناطق العشوائية والجهود المبذولة لتطوير الطرق الإشعاعية والطرق الدائرية ومن أهمها طريق الملك سلمان وطريق الجامعات وتقوم هيئة تطوير المدينة المنورة بجهود متنوعة فعالة لوضع الخطط الشاملة لتطوير المدينة المنورة.

قطار الحرمين

يعد مشروع قطار الحرمين الشريفين السريع الرابط بين المدينة المنورة ومكة المكرمة ومحافظه جدة. أحد أبرز المشاريع التي تنفذها حكومة خادم الحرمين الشريفين لخدمة ضيوف الرحمن من الحجاج والمعتمرين والزوار. بغرض تأمين أقصى درجات الأمن والأمان لوفود الحجيج. منذ وصولهم إلى الأراضي المقدسة وحتى مغادرتهم إلى بلادهم.

وتشكل محطة قطار الحرمين بالمدينة المنورة بوابة جديدة لخدمة ضيوف الرحمن بعد الافتتاح الرسمي لمطار الأمير محمد بن عبدالعزيز الدولي. حيث يهدف المشروع الذي يتم تشغيله وفقا لأحدث الأنظمة العالمية إلى ربط المدينتين المقدستين ببعضهما وبمدينة جدة ومدينة الملك عبد الله الاقتصادية برباط.

وتبلغ مساحة محطة قطار الحرمين بالمدينة التي تبعد عن المسجد النبوي الشريف تسعة كيلومترات تقريبا وعن مطار الأمير محمد بن عبدالعزيز الدولي بالمدينة ١٣ كيلومترا. أكثر من ١٤٧ ألف متر مربع.

ويتوقع أن يصل عدد الرحلات التي سيتم تسييرها للساعة الواحدة بين المدن «خارج موسم الحج». إلى سبعة قطارات في الساعة بين مكة وجدة. وقطارين في الساعة بين مكة والمدينة. أي بمعدل ٣٦ قطارا في اليوم. ونحو ١٥ ألف راكب بين مكة والمدينة. فيما يمكن أن تتجاوز الطاقة الإجمالية ١٢ قطارا في الساعة بين المدن الثلاث. حيث تم إنشاء محطة ركاب في كل من هذه المدن. كما تم ربط كل محطة بنظام النقل العام من خلال توفير أماكن مناسبة لمواقف الحافلات وممرات مشاة مع محطات القطارات الخفيفة المزمع إنشاؤها في المدن المعنية.



مؤتمر «المسلمون وآفاق التعايش» في سريلانكا يدرس تجارب التعايش بين المسلمين ومواطنيهم في جنوب آسيا

اختتم مؤتمر «المسلمون وآفاق التعايش» الذي عقدته رابطة العالم الإسلامي بالتعاون مع المركز الإسلامي في سريلانكا، في يومي ١١/٩/٢٠١٦م الموافق ١١ و١٢/٨/٢٠١٦م. وقد افتتح المؤتمر: دولة رئيس الوزراء السريلانكي: رانيل ويكرمسينغها؛ بكلمة شكر فيها الرابطة على عقد المؤتمر، واختيار هذا الموضوع المهم، مؤكدا حرص الحكومة السريلانكية على إشاعة ثقافة التعايش بين مكونات المجتمع السريلانكي، ورغبتها في التعاون مع القادة الدينيين في تحقيق أفضل صيغ التعايش الإيجابي.

تغطية : شاعر العدواني

وحمايتهم ومساجدهم وقراهم، والسماح بدخول المؤسسات الدولية والإسلامية لتخفيف معاناتهم.

وبحث المؤتمر الموضوعات التالية:

- نظرة تاريخية في العلاقات الإنسانية.

- نحو تعايش إيجابي.

- معاً في مواجهة التحديات الأخلاقية والبيئية.

وأكد المؤتمر على ما يلي:

ودرس المؤتمر تجارب التعايش بين المسلمين ومواطنيهم في جنوب آسيا، وأبدى اعتزازه بالكثير من صورها الحضارية، وأبدى أسفه من تصاعد حملات الكراهية والتخويف من الإسلام والمسلمين في بعض المجتمعات والمناسبات، وما نتج عنها من انتهاك للحقوق، وتقييد للحريات، واعتداء على خصوصية المسلمين الدينية والثقافية. وأدان المشاركون التطهير العرقي الذي يتعرض له المسلمون في ميانمار، ودعوا حكومتها إلى الاعتراف بحقوقهم.

والتجارب بما يُعين على تجاوز التحديات التي تؤدي بالبشر إلى الانحلال الأخلاقي. والتفكير الأسري. وانتشار الأوبئة والكوارث بسبب التعدي على البيئة والإخلال بالتوازن المتأخي. قال الله تعالى: [ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون] (الروم: ٤١).

التوصيات

أولاً: الجمعيات والمراكز الإسلامية:

دعا المؤتمر الجمعيات والمراكز الإسلامية في جنوب آسيا إلى ما يلي:

- ربط حاضر المسلمين في جنوب آسيا بحضارتهم الإسلامية، وبجهود رؤاها من العلماء والدعاة. ودعوة الجامعات ومؤسسات الدعوة والثقافة الإسلامية إلى إبراز تاريخ الإسلام في المنطقة وأثر ثقافته في حضارة شعوبها. - التعاون والوحدة والحذر من الفتن التي تُفترق الصف الإسلامي. والنأي عن الفتن الطائفية التي يثيرها أعداء الوحدة الإسلامية وأعداء النهج الإسلامي الوسيط. قال الله تعالى: [إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء] (الأنعام: ١٥٩).

- إشاعة الثقافة الإسلامية بين الأجيال المسلمة. وتعريفها بحضارة الإسلام وأثارها العلمية والتربوية والثقافية وتأثيرها الإيجابي في الحضارات الإنسانية. وتكثيف البرامج الإسلامية التثقيفية التي تُسهم في تعزيز الخصوصية الدينية والثقافية للأجيال المسلمة الشابة.

- نشر مبادئ الإسلام في التعاون بين الأمم والشعوب. وتبيان اعتماد السلم والتعاون في الخير: أصلاً في العلاقة بين المسلمين وغيرهم. والتأكيد على محاربة الإسلام للإرهاب وجريمه قتل النفس البشرية دون حق: [ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق] (الإسراء: ٣٣). ومطالبة المؤسسات الإسلامية ب عقد ندوات خاصة للشباب في ترسيخ الوسطية الإسلامية والابتعاد عن تيارات التطرف والغلو.

- تصحيح المفاهيم الخاطئة السارية بين بعض المسلمين. وبيان حقائق الإسلام السامية ومنهجه الوسطي القويم في التعامل مع المسلمين وغيرهم. وتوعية الشباب المسلم بواجبهم الحضاري والإنساني. وتحذيرهم من الشعارات التي ترفعها تيارات الغلو والحفاء. ودعوتهم إلى نهج الإسلام القويم.

- وضع استراتيجيات مشتركة بما يحقق أهداف الأمة المسلمة. وبنأى بالمؤسسات الإسلامية عن التعصب المذموم الذي ينتج عن الأنانية والأثرة الحزبية والشخصية. وإدارة

١. البشّر أبناء آدم. استخلفهم الله لعمارة الأرض وفق ما نزلت به الكتب وبعثت به الرسل: [وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفق بعضكم فوق بعض درجات ليلوكم في ما آتاكم] (الأنعام: ١٦٥). والأديان في أصولها تدعو إلى السلم والتوافق المجتمعي. وترفض الظلم والاستعلاء العرقي والعنصري، وتحض على بناء عالم تسوده العدالة والأمن.

٢. الإرهاب ظاهرة إجرامية أنتجت الصراعات السياسية والنزاعات الطائفية والأفكار الضالة التي جردت عن القيم الإنسانية والمسؤولية الأخلاقية. والمسلمون يرفضون ممارسات الإرهاب. ويعتبرونها إفساداً في الأرض. لما فيها من إشاعة الدُعر بين الأمنيين. وزعزعة الأمن. ونشر الفوضى. وتدمير الممتلكات. والاعتداء على الأموال الخاصة والعامّة.

٣. الإسلام يدعو إلى عبادة البشر لخالقهم. وترسيخ القيم الفاضلة التي تعزز السلم الاجتماعي. والأصل في العلاقة بين المسلمين وغيرهم: هو السلم والعدل والتعاون على الخير. قال الله تعالى:

[لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين] (الممتحنة: ٨).

٤. الاختلاف بين الناس سنة كونية. وتكثيف الحوار بين المكونات المختلفة يسهم في تحقيق التعارف والتضامن في حماية المصالح الوطنية العامة. وتذليل الصعوبات التي تتوق التعايش الآمن.

٥. التعرف على الإسلام يكون من خلال أصوله الصحيحة وعلمائه المعتبرين. بعيداً عن الدعايات المغرضة التي يُغذيها التطرف الفكري والرؤى المتسائمة بروح العداوة التاريخية. والممارسات الإرهابية لبعض المنتسبين إلى الإسلام لا تسوّغ ربطه بالمسلمين. وترويض الصورة النمطية التي تُشوّه صورتهم.

٦. دعوات المسلمين إلى الحوار الحضاري تُعبر عن رغبتهم في التعايش السلمي والتفاعل الإيجابي مع مختلف أتباع الأديان والحضارات الإنسانية. وفتح صفحة إيجابية في العلاقة معهم.

٧. العمل بالإسلام لا يعارض مع المواطنة الصالحة ودعم التنمية وتكريس الشراكة الوطنية ومحاربة الفساد والتعاون في تحقيق المصالح المشتركة. قال الله تعالى: [وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان] (المائدة: ٢).

٨. التحديات الكبرى التي تواجهها البشرية اليوم: تتطلب تعاون الجميع في تقديم الحلول الناجحة. وتبادل الخبرات

اختلاف الرأي بالأسلوب الرشيد ووفق الآداب الإسلامية التي تستبقي الأحوال الإسلامية، وتراعي مقتضياتها.

- تنسيق الجهود والبرامج: بما يؤدي إلى تقوية العلاقات مع مكونات المجتمع الأخرى، وتحقيق المصالح العليا للأمة المسلمة: مع ضرورة المحافظة على حقوق المسلمين وخصوصيتهم الدينية والثقافية.

- العمل مع المؤسسات الدينية والأخلاقية في جنوب آسيا على بناء منظومة عالمية للأخلاق، وتشجيع الممارسات الاجتماعية السامية، والتصدي للتحديات الأخلاقية والأسرية التي تشيع الانحلال الأخلاقي وثقافة الفحش والرذيلة، فقد بعث الله النبيين لحراسة القيم النبيلة، قال ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ».

ثانياً : المؤسسات الوطنية والدولية:

دعا المؤتمر المؤسسات الرسمية والوطنية في دول جنوب آسيا إلى ما يلي:

- دعم مبادرات الحوار الديني، وإشاعة ثقافة التسامح والحوار وترسيخها في المجتمعات الإنسانية، والتصدي للعنف والتطرف والإرهاب ونظريات صراع الحضارات، ووصولاً إلى مجتمع إنساني يسوده العدل واحترام حقوق الإنسان، يتحقق فيه التعايش الإيجابي بين مكونات المجتمع، بما يحفظ كرامة الجميع، ويرعى خصوصياتهم الدينية والثقافية.

- التعاون مع المسلمين ومؤسساتهم في التصدي لظاهرة الإسلاموفوبيا، وتكوين صورة صحيحة عن الإسلام في وسائل الإعلام، ودعوتها إلى عدم بث المواد التحريضية ضد المسلمين، لما لها من أثر سلبي على التعايش والمصالح المشتركة.

- ترسيخ القيم الإنسانية المشتركة، وإقامة شراكة حقيقية في المجتمع، وإثراء مفاهيم العدل والإحسان والتعاون، ومنع الظلم والتمييز، وتشجيع الممارسات الاجتماعية السامية، والتضامن في حماية المصالح الوطنية العامة، والتصدي للصور السلبية في المجتمع، وتذليل الصعوبات التي تعوق التعايش الآمن، والحذر مما يضعف العلاقات البنينة في المجتمع.

- التعاون مع المؤسسات الدينية والثقافية في تحقيق الصالح العام، والتصدي لتأثيرات العولمة السلبية على الثقافة الإنسانية، وعلاج المشكلات الإثنية بروح من التسامح والعدالة والحرص على الوحدة الوطنية.

- وضع استراتيجية شاملة لمعالجة مشكلة المسلمين الروهينجا في ميانمار، بما يكفل لهم حقوق المواطنة الكاملة في بلادهم، وحمايتهم من الأخطار، والسماح بعودة المهاجرين، وتعويض المتضررين.

ثالثاً : شعوب جنوب آسيا والمؤسسات المدنية:

ودعا المؤتمر شعوب جنوب آسيا والمؤسسات المدنية فيه إلى ما يلي:

- التعرف على الإسلام وحضارته وإثرائه للمعرفة الإنسانية من خلال أصوله الصحيحة والعلماء المعتمدين والمنصفين، ورفض الصور المزورة التي يقدمها المتطرفون والجهات المغرضة عن الإسلام بقصد الإساءة إليه والتخويف منه.

- استعادة صور التعايش الإيجابي والحوار الحسن بينهم وبين المسلمين خلال عصور متطاولة، وتجاوز المشكلات بالحوار الإيجابي، والحذر من المحاولات المشينة الهادفة إلى إحداث شرخ في العلاقات بين المسلمين ومواطنيهم، ورفض مقولات الغلاة في حتمية الصراع بين الحضارات.

- تقديم المصالح العليا للوطن، ورفض دعوات العنصرية والعصبية المقيبة، واستحضار ما تخلفه الحروب والصراع من شقاء وتخلف وويلات ومحن يكتوي بنارها الجميع، والنأي عن كل ما يؤجج الفتنة والفرقة بين أبناء الوطن الواحد.

- التعاضد في مواجهة الظلم والقهر والبغي، ونصرة المظلوم، والتعاون مع الأقليات المستضعفة، والمطالبة بحقوقها، ورفض الهيمنة الثقافية، واحتواء المظاهر السلبية التي تهدد - بظلالها المقيتة - حاضر المنطقية ومستقبلها.

- التعاون في حماية البيئة، والحفاظ على مصادر الطاقة وحق الأجيال القادمة في العيش في أرض خالية من التلوث البيئي الذي يسببه عبث الإنسان.

وشكر المشاركون في المؤتمر جمهورية سريلانكا، وفخامة رئيسها: مايتريبالا سيريسينا، ودولة رئيس وزراءها: رانيل ويكرمسنغها، والمسؤولين فيها، على تسهيلهم إقامة المؤتمر، وقدروا الجهود التي بذلها المركز الإسلامي في سريلانكا.

وأشادوا بجهود المملكة العربية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود حفظه الله، وسمو ولي عهده الأمين، وسمو ولي العهد في ترسيخ الوسطية، وخدمة الإسلام والمسلمين والمجتمعات الإنسانية فيما يحقق الأمن والاستقرار والتعاون.

وقدروا الجهود التي تقوم بها رابطة العالم الإسلامي في توعية المسلمين والحفاظ على هويتهم الدينية، وعلى اهتمامها بالأقليات المسلمة وما يتعلق بالشأن الإسلامي العام.

وصلّى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

صدر في كولبو ١١/٩/١٤٣٧هـ - ٢٠١٦/٨/١٢م



برعاية الرئيس الإندونيسي مؤتمر : (وسطية الإسلام
ومكافحة الإرهاب والطائفية) يوصي ب :

إنشاء مركز بحثي متخصص في مواجهة الطائفية

اختتم في الجمهورية الإندونيسية مؤتمر "وسطية الإسلام ومكافحة الإرهاب والطائفية" الذي عقدته رابطة العالم الإسلامي، بالتعاون مع محافظة نوسا تنجارا الغربية، ومجلس العلماء الإندونيسي، برعاية كريمة من فخامة الرئيس "جوكو ويدودو" رئيس جمهورية إندونيسيا، وذلك بجزيرة لومبوك، في الفترة من ٢٥-٢٧ / ١٠ / ١٤٣٧ هـ ، التي يوافقها ٧/٣٠-١٦/٨/٢٠١٦ م. وشارك في المؤتمر كوكبة من العلماء والباحثين والأكاديميين: أثرُوا موضوعاته ومحاوره .

تغطية : شاكر العدواني

وفي افتتاح المؤتمر: رحّب فخامة الرئيس «جوكو ويدودو» رئيس جمهورية إندونيسيا؛ بالمشاركين من كافة الدول، وشكر رابطة العالم الإسلامي على عقد المؤتمر، وعلى ما تُسهّم به من جهودٍ في توعية الأمة بواجباتها نحو دينها وأوطانها وقضاياها؛ وفي رد الأباطيل والشبهات الموجهة ضد الإسلام وحضارته ومقدساته ورموزه وعلمائه، وعبر عن أمله في أن يحقق المؤتمر الأهداف التي عُقد من أجلها، واعتبره فرصةً لمحاربة الإرهاب والغلو والتطرف الطائفي



والعدوان والفساد في الأرض: قال تعالى: (وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد) (البقرة: ٢٠٥)، وقد توعد الله المفسدين في الأرض بأليم عقابه في الدنيا والآخرة: فقال سبحانه: (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يُقتلوا أو يُصلبوا أو تُقَطَّعَ أيديهم وأرجلهم من خلافٍ أو يُنقَوا من الأرض ذلك لهم جزِي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم) (المائدة: ٣٣).

- أن الحوار بين أتباع الأديان والثقافات من أفضل السبل للوصول إلى فهمٍ صحيحٍ للأخِر، وبناء الثقة، وحل الإشكالات، ووضع صيغ التعاون ووصولاً إلى تحقيق الأهداف النبيلة .

ثانياً: التطرف الطائفي .. الأخطار والآثار :

ناقش المشاركون التغلغل الطائفي الذي ينتشر في دول آسيا. وغيرها من القارات . والمناسط المشبوهة التي تقوم بها الجهات الطائفية، وما تفعله بعض الطوائف لنشر الطائفية البغيضة؛ وأثار ذلك وأخطاره. وأكدوا على أن إندونيسيا باعتبارها أكبر دولة إسلامية؛ لها أهمية كبرى في المنطقة؛ يجب على المسلمين كافة مواجهة أي استهداف طائفي لها، والحذر من كل أيدي خفية تعمل على إثارة العنف الطائفي فيها. مما يهدد وحدتها وأمتها. وأكدوا على أن من أبرز الأعمال الطائفية ما يلي :

في آسيا؛ راجياً أن يخرج هذا المؤتمر بتوصياتٍ عمليةٍ تتبناها الأطراف المعنية .

وبحث المشاركون الموضوعات التالية :

أولاً: الإرهاب والتطرف.. الأسباب والنتائج

استعرض المؤتمر انتشارَ الإرهاب في آسيا وغيرها. والأسباب الدينية والاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية لذلك. وأن من أهم أسباب الإرهاب على المستوى العالمي: الإجحاف في التعامل مع قضايا العالم الإسلامي. والتساهل في رفع الظلم عن الشعوب المستضعفة. والتغاضي عن ممارسات قتل الأبرياء والأطفال والانتهاكات الطائفية؛ دون استنكار ولا محاكمة.

وأن من أسبابه الدينية لدى بعض المسلمين: الجهل بالإسلام الصحيح، وضعف الجهود الإسلامية في مواجهته، واستغلاله لمصالح طائفية أو سياسية. وأكد المؤتمر على ما يلي :

- براءة الإسلام من الإرهاب. وأن رسالة الإسلام ونصوصه الجليلة تؤكد على وسطيته واعتداله وتسامحه وأنه رحمة للعالمين. واحترامه الكرامة الإنسانية. وضوئه النفوس والأعراض والأموال والممتلكات. قال الله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون﴾ (النحل: ٩٠).

- أن الإرهاب الذي يمارسه بعض المنحرفين عن الصراط المستقيم من المسلمين: من أثار الغلو في الدين: الذي حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم أمته في قوله في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّا كُفِّرُوكُمُ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ: فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ: الْغُلُوَّ فِي الدِّينِ).

- أن إصاق تهمة الإرهاب بالمسلمين زوراً وبهتاناً؛ إساءة تتجاهل جهود المسلمين في مكافحة الإرهاب وإدانة كافة صوره ومظاهره. وإسهامهم في استتباب الأمن والسلام العالمي.

- أن الجرائم الإرهابية التي ترتكب باسم الإسلام: لا صلة لها بالإسلام دين الرحمة. ولا مبرر لهذه الأفعال الشنيعة التي شوّهت الإسلام وأدت الإنسانية وأرهقت المسلمين وأراقت الدماء المعصومة.

- أن أحكام الإسلام وقيمه كما في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم: ووفق فهم السلف الصالح: هي الدرع الحصينة للسلام والأمن؛ لما فيها من صونٍ للحقوق وتعظيمٍ لحرمة الدماء؛ وحرمةٍ للظلم

ومواجهة آثاره.

ثالثاً: مواجهة الإرهاب والتطرف الطائفي .. المسؤوليات والجهود

أكد المؤتمر على أن الإرهاب والتطرف الطائفي ظاهرتان تستوجبان جهوداً مشتركة لاحتوائهما والتصدي لهما؛ من خلال برنامج دولي يعالج أسبابهما. ويكفل القضاء عليهما. ويصون عقائد الناس وحياة الأبرياء. ويحفظ للدول سيادتها وللشعوب استقرارها وخصوصيتها، وللعالم سلامته وأمنه. وناقشوا برامج التحصين العقدي وتعزيز الأمن الفكري؛ وأهمية تكامل المسؤوليات بين المؤسسات الرسمية والشعبية في دول القارة الآسيوية.

وأشاد المؤتمر بجهود العلماء المسلمين في مواجهة الإرهاب والتطرف الطائفي؛ وتعزيز التعايش السلمي في المجتمعات؛ والحرص على ما يحقق الأمن والاستقرار والتعاون. وأثنوا على الجهود التي تبذلها إندونيسيا بقيادة فخامة الرئيس «جوكو ويدودو» رئيس جمهورية إندونيسيا لتحقيق التعاون والتعايش والسلام. واهتمامه بمحاربة الإرهاب والتطرف الطائفي .

واستعرض المؤتمر المسؤولية الدولية في مكافحة الإرهاب. وأشاد بجهود المملكة العربية السعودية وقيادتها الحكيمة في محاربهه والتصدي له والتوعية بخطرته. واستمرارها الدؤوب في مواجهته إقليمياً ودولياً. وحرصها على تعزيز الأمن والسلام في العالم. وأشاد المؤتمر بالتجربة الرائدة في المملكة العربية السعودية؛ والتي تقوم على الحوار مع المجموعات المتطرفة، والتي حققت نتائج إيجابية .

واستنكر المؤتمر ما مارسه إسرائيل من جرائم في حق الشعب الفلسطيني. ودعا العالم إلى رفض إجراءاتها لتهويد القدس الشريف؛ وتدني المسجد الأقصى المبارك. ووضّح حدّ للممارسات الإرهابية التي ترتكبها.

كما استنكر ما مارس من جرائم التطهير العرقي وما يصاحبه من التعذيب والتجويب والتشريد والقتل بحق المسلمين في بورما، واستغرب سكوت العالم عن هذه الجرائم الوحشية الشنيعة.

رابعاً: التوصيات :

أوصى المؤتمر بما يلي :

- أن تنشئ رابطة العالم الإسلامي مركزاً لدراسات التطرف والإرهاب والطائفية بالتعاون مع مجلس العلماء الإندونيسي المركزي ومحافظه نوسا تنجارا الغربية في

الإساءة إلى منهج أهل السنة والجماعة الذي توارثه المسلمون في آسيا. وتشويه تراثهم الحضاري والثقافي المشترك الذي تتجلى فيه وحدة المقوم الديني بأبعاده العقديّة والمذهبية والروحية.

- بتّ العقائد الباطلة بين المسلمين. والإساءة إلى الصحابة رضي الله عنهم؛ حملة الدين وأهدى الناس وأفضلهم في الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

- نشر الأفكار المنحرفة الجانبة للاعتدال والوسطية. المتشوبة بالغلو والتطرف والضلال.

- تأجيج مشاعر الكراهية بين المسلمين. وبتّ الأحقاد الطائفية بينهم. وإغراقهم في صراع يدفع بهم إلى الاحتراب. وفتت مجتمعاتهم إلى مجتمعات طائفية عرقية متناحرة.

- تهيئة الأجواء لانتهاك سيادة الدول بالتدخل الخارجي .

- اضطهاد الأقليات المسلمة في العديد من دول آسيا؛ وبخاصة في بورما وما يحدث فيها من جرائم غير إنسانية؛ كالقتل والتمثيل بالجنث بطريقة وحشية؛ والتشريد والتهجير والتجويب وغير ذلك ما يرتكب في حق المسلمين؛ (وما نعموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد)(البروج: ٨).

واستنكر المؤتمر الجهود التي تبذل في التغلغل الطائفي في آسيا وأفريقيا وغيرها؛ وأوصوا بما يلي:

١- إنشاء مركز بحثي متخصص في مواجهة الطائفية. يقوم برصد المناشط التي تقوم بها المؤسسات الطائفية في آسيا- وبخاصة في دول شرق آسيا- ودراسة الوسائل التي تنذر بها للتغلغل الطائفي. وتبادل المعلومات في ذلك بين الجهات المعنية.

٢- عقد ندوات مكثفة في مختلف دول آسيا، تتعاون فيها الهيئات الإسلامية مع رابطة العالم الإسلامي؛ لتحصين عقائد المسلمين وأفكارهم.

٣- دعوة حكومات دول آسيا إلى تعزيز برامج التنمية الاجتماعية والاقتصادية؛ لتلبية حاجات المجتمعات. والتقليل من البطالة والفقر. فالضعف الاقتصادي والاجتماعي من أبرز مبررات نشر الطائفية البغيضة.

٤- تشجيع البحوث والدراسات المتعلقة بالثقافة الإسلامية؛ للحفاظ على وحدة المسلمين في آسيا. وصدّ التيارات الفكرية والعقدية المتطرفة. وتنمية مدارك الناس العلمية والمعرفية.

٥- دعوة المؤسسات العلمية والتعليمية لإبراز مخاطر التطرف الطائفي. وتوجيه بحوثها لدراسة أسبابه



وشكر المشاركون خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود؛ ملك المملكة العربية السعودية؛ وسمو ولي العهد؛ نائب رئيس مجلس الوزراء؛ وزير الداخلية؛ الأمير محمد بن نايف بن عبد العزيز آل سعود؛ وسمو ولي العهد؛ النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء؛ وزير الدفاع؛ الأمير محمد بن سلمان بن عبد العزيز آل سعود؛ على حرصهم - حفظهم الله - على مصلحة المسلمين، وما يحقق السلام والأمن والاستقرار في المجتمعات الإنسانية.

وأشادوا بما تبذله المملكة العربية السعودية في خدمة الحرمين الشريفين وتوسعتيهما. وإكرام ضيوفهما من الزوار والحجاج والمعتمرين. وأدانوا بشدة ما تناولته وسائل الإعلام من إساءات إيرانية للمملكة وتغافلها عن الجهود المتميزة التي تبذلها في خدمة ضيوف الرحمن .

واستنكروا ما يجري في العالم الإسلامي والعربي والدولي من انتهاكات صريحة لحقوق الإنسان وسكوت المجتمع الدولي على الجرائم الوحشية في مناطق عديدة من العالم وطالبوا بضرورة تقديم المجرمين إلى المحاكم الدولية .

وشكروا سعادة الدكتور «محمد زين الجدي» محافظ نوسا تنجارا الغربية. وفضيلة الشيخ الدكتور معروف أمين، الرئيس العام لمجلس العلماء الإندونيسي؛ لتعاونيهما في تنظيم المؤتمر والإعداد له.

وأثنى المشاركون على جهود رابطة العالم الإسلامي. وما تقوم به في خدمة الإسلام والمسلمين.

وشكروا العلماء والباحثين وأساتذة الجامعات المشاركين في المؤتمر لإثرائهم موضوعاته ببحوثهم وآرائهم .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد. وعلى آله وصحبه أجمعين.

صدر في إندونيسيا؛ جزيرة لومبوك؛ ١٠/٢٧/١٤٣٧ هـ، ١٦/٨/٢٠١٦ م.

لومبوك .

- تكوين لجنة متابعة تنفيذ القرارات والتوصيات التي تضمنها هذا البيان من مجلس العلماء الإندونيسي ومحافظة نوسا تنجارا الغربية ووزارة الشؤون الدينية ورابطة العالم الإسلامي .

- وضْعُ خُطَّةٍ استراتيجيَّةٍ متكاملة لمكافحة الإرهاب والتطرف الطائفي في آسيا بكل صوره وأشكاله. والاستفادة في ذلك من التجربة الرائدة للمملكة العربية السعودية. والتعاون مع المجتمع الدولي في ذلك. وأن تتخذ رابطة العالم الإسلامي الإجراءات اللازمة لذلك مع الجهات المختصة رسميةً وشعبيةً.

- دعمُ التعليم الديني في دول آسيا وتطوير مناهجه، وإنشاء مدارس ومعاهد إسلامية تفي باحتياجات المسلمين التعليمية. وتزودهم بالأئمة والمدرسين الذين يُبَيِّنون خطر الإرهاب والطائفية. ويؤصلون وسطية الإسلام واعتداله. قال الله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ (البقرة: ١٤٣).

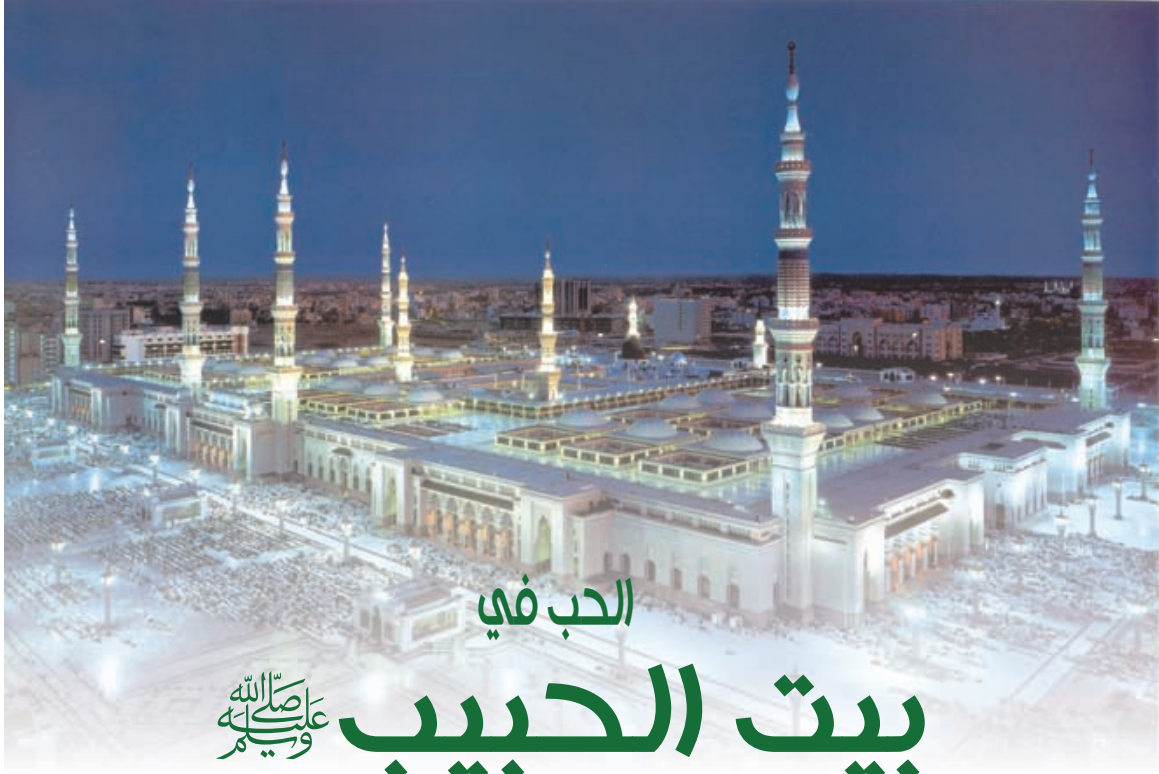
- قيام العلماء الراسخين في العلم بواجبهم . في تبصير الشباب بالمفاهيم الشرعية الصحيحة: للجهاد؛ والتكفير؛ والولاء والبراء؛ والحاكمية؛ ووجوب طاعة ولي الأمر وحریم الخروج عليه، وما يتعلق بذلك من أحكام.

- ترشيح مناهج الدعوة. وربطها بمنهج الإسلام الصحيح في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة. وحث المؤسسات الدعوية في دول آسيا على التعاون في ذلك مع الهيئات الإسلامية. وعقد دورات تدريبية للأئمة والدعاة.

- تكوين مجلس تنسيق للهيئات الإسلامية الآسيوية. يوحد الجهود ويحدد الأهداف تحت إشراف رابطة العالم الإسلامي؛ وبالتعاون مع الجهات ذات الصلة. ويعقد لقاءات تنسيقية دورية مع الجهات المتخصصة في دول آسيا. لوضع البرامج العملية لمواجهة الإرهاب والتطرف الطائفي في آسيا.

- دعم الأقليات المسلمة - وبخاصة من الناحية التعليمية والتربوية - لتنجو من مزالق التطرف والعنف والصدام مع مختلف مكونات المجتمع. وتخرط في تنمية أوطانها بما يضمن التعايش للجميع وتصحيح صورة الإسلام الخفيف وصورة أتباعه.

- تحقيق الإصلاح الشامل الذي يحفظ الهوية الثقافية، ويلبي تطلعات الشعوب في محاربة الفساد، وحسن استخدام الموارد البشرية والطبيعية، بما يحقق العدل، ويصون الكرامة الإنسانية، ويرعى الحقوق والواجبات .



الحب في

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

بيت الحبيب

د. / آمال محمد حسن عتيبة

جامعة أم القرى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام المتقين، نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين، أما بعد: فإن الزواج سكن ومودة ورحمة، وهو وثاق مقدس يربط بين شخصين (ذكر وأنثى) في علاقة سامية، قال تعالى: ﴿...وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١)، ولقد أكرم الله سبحانه وتعالى الأمة الإسلامية بخير قدوة: لو اقتدى بها كل مسلم لتحققت له السعادة في حياته الزوجية، بل في جميع أهوره وأحواله في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١).

وكانت كل زوجاته مثلاً رائعاً للزوجة الصالحة المطيعة الوفية، ونموذجاً للمرأة التي تعين زوجها على نواب الدهر، ولا تبخل عليه بكل ما تملك من عطاءٍ معنوي ومادي، حتى استحقت كل واحدة منهن أن تكنى بأسماء المؤمنين، وخصهن الله تعالى بقربهن منه، ونزول الوحي عليه في بيوتهن، قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ...﴾ (الأحزاب: ٦)، وظلت بيوتهن مهبط الوحي والرحمة والهدى مدة حياته ﷺ، فلما انتقل إلى جوار ربه بقيت هذه البيوت مثابة للناس، يقصدونها متعلمين مستفتين، أو ملتجئين مستغيثين، فكانت تهدي الخائر، وتعلم

فقد خلى الرسول الكريم ﷺ بكل ما يحفظ للعلاقة الزوجية قدسيتها؛ لتكون نموذجاً للعالم في كل زمان ومكان: تستقيم به أمورهم، وترتفع السعادة على بيوتهم، ويسكن الرضا نفوسهم، ويخيم الحب على قلوبهم وحياتهم، وأنعم الله عليه بزواجٍ مثاليٍّ عاليٍّ في المقام، فاضت قلوبهن بحبه، وسمت عقولهن إيماناً وتصديقاً برسالته، فحفظن عنه القرآن، وحملن عنه السنة، وفهمن منه مقاصد الشريعة وأهدافها، فكان سراجاً لمن بعدهن، ونبعاً صافياً جارياً، يروي الظمان، ويغيث اللهفان.

الجاهل، وحمي الملتجئ، وتنجد المستغيث، وليث الناس جميعاً على اختلاف طبقاتهم -الخلفاء فمن دونهم- يخضعون لأزواج الرسول ﷺ خضوع الأبرار لأمهاتهم.
انظر: عبد الكريم، ألفت. (٢٠٠٨م). في منزل الرسول صلى الله عليه وسلم ص. ٦.

وإذا أردنا التخصيص بشدة القرب، برزت لنا أم المؤمنين السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق (رضي الله عنهما)، فقد كرمها الله تعالى بفضائله، واصطفاه من بين كثير من النساء، كما أكرمها بالعلم والفقه، وحفظ عدد كبير من الأحاديث النبوية، ولقد بلغ علمها ذروة الإحاطة والنضج في كل ما اتصل بالدين من قرآن وتفسير وحديث وفقه: فكانت موسوعة في عصرها، بلغت الأمة ماحوته في صدرها بعلو وهمة.

فعن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) قال: (مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثُ قَطِ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- إِلا وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا). سنن الترمذي حديث رقم: ٣٨٨٣، ص ٧٣٥.

ولقد كانت السيدة عائشة (رضي الله عنها) ترعى شؤونها، وتدبر أموره وتواسيه حين تجب المواساة، وتطيعه في توجيهاته، وتحفظ عنه كثيراً من أقواله، وتقوم بأمور بيت الزوجية خير قيام، وعرف رسول الله ﷺ لها ذلك الفضل، فكانت أحب نسائه إليه، وعرف فيها الذكاء والوفاء والوعي والفهم. وقد قال عنها ﷺ: (كَمَلُ مِنْ

الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنْ النِّسَاءِ إِلا أَسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ. وَمَرَمُ بِنْتُ عَمْرَانَ وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ). صحيح الجامع حديث رقم ٢١١٧ صحيح.

ولقد كان حديث الإفك من أصعب الأمور التي واجهت السيدة عائشة في حياتها، ومن أفسى ما تعرض له بيت النبوة إلى أن نزلت آيات في سورة النور تكشف الغمة وتبدها، فعادت الطاهرة البريئة إلى بيتها وإلى مقامها في قلب رسول الله ﷺ، وإلى مكانتها الرفيعة في نفوس المسلمين جميعاً، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا قَالُوا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (النور: ٢٦).

وإن المتأمل لحال بيوت الأسر المسلمة اليوم يجد أن السمة الغالبة على بعض منها هي الخلافات والمشاحنات والمشكلات اليومية، وما ذلك إلا لبعدها عن المنهج السماوي القويم المنزل من العليم الخبير، ولضعف الوازع الديني، فيما يتعلق بالحقوق الزوجية.

فحري بكل أسرة مسلمة أن تتخذ من حياة النبي ﷺ مع زوجاته عامة، والسيدة عائشة (رضي الله عنها) خاصة الأسوة الحسنة، وأن تستنبط المعاني التربوية منها، وتطبقها في حياتها الأسرية: حتى تصبح بيوت المسلمين بيوتاً سعيدة آمنة مستقرة مطمئنة بلؤها الحب والحنان والسكينة.

ولذا فإن دراسة سيرة أم المؤمنين السيدة عائشة (رضي الله عنها)، لتمثل خير قدوة تقتدي بها النساء والزوجات المسلمات؛ فقد تأثرت كثيراً بعبادة النبي ﷺ، ومنهجها في الحياة؛ لأنها كانت ألتصق الناس به، وأكثرهم اطلاعاً على عبادته الخاصة،

ونقلت للناس صورة كاملة لعبادته، ومن أحكام الشريعة الخالدة خاصة الأحكام النسوية والقضايا التربوية، والمسائل البيتية.

انظر: زوجات النبي صلى الله عليه وسلم الطاهرات وحكمة تعددهن. الصواف محمد ص ٤٠.

مواقف من حياتها في بيت النبوة

حكى السطور التالية عن علاقة فريدة بين السيدة عائشة والرسول الكريم؛ وذلك بذكر ما صح عنها في حبها لسيد ولد آدم، وحبها لها وعن جوانب من حياتها كيف كانت مهتمة بالنبي ﷺ وكيف كان لها، وما قدّره عندها، وكيف كانت منبعاً للعفة والطهر فلا ترفع الطرف ولا تمد العين له، فهو سيد الخلق أجمعين.

١. مراعاة الرسول لصغر سن عائشة:

انتقلت العروس الجديدة من بيت أبيها الذي أفتته، إلى بيت رسول الله ﷺ بجمالها ومرحها وخفة ظلها. حلت في بيت النبي ﷺ يغمرها بحنانه وعطفه وحيه، وفي هذا البيت بدأت السيدة عائشة حياتها الزوجية المتواضعة مع نبي الأمة، فلقد كانت البكر الوحيدة بين زوجات النبي، وإن تأثير الزوج الأول على زوجته يعد أشد أثراً وأكبر وقعاً في شخصيات كثير من بنات حواء، بل يعد زواج البكر هو ميزة للزوجة كما أنه ميزة للزوج أيضاً؛ وذلك حينما يكون الزوج من كوامل الرجال وحينما تتمتع صفاته بالحسن، وأخلاقه بالكمال، فما بالنا حينما يكون الزوج سيد ولد آدم ﷺ.

فقد استطاع أن يمتص وحنشة فراقها لأسرتها، ويؤانسها بعناية الزوج الرؤوف، كما «أدركت بذكائها أنها أصبحت زوجاً لأعظم رجل في قومها، فشاع في نفسها كبر غير زهو، وتمت لو تعجلت السنين ليستتم صباحها، وتنضح أنوثتها؛ فتغدو كبرى النساء وأحدوثهن المثلى، لكنها لا تلبث أن يعاودها الحنين إلى لداتها وصواحبها، فتدعوهن إلى بيتها ليتسلىن معها في غيبة زوجها».

ولم يكن النبي ﷺ يستنكر عليها صغر سنها ولا جنحها للهو واللعب، بل على العكس كان يقدر طفولتها وحاجاتها النفسية ورغباتها، فتروي لنا قائلة: (كنت أَلْعِبُ بالبَنَاتِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَكَانَ لِي صَوَاحِبٌ يَلْعَبْنَ مَعِي، فَكَانَ الرَّسُولُ ﷺ إِذَا دَخَلَ يَتَفَقَّعَنَّ مِنْهُ، فَيَسْرُّ بَهَنَ إِلَيَّ فَيَلْعَبُ مَعِي) البخاري ص ١٠٩٨.

ومعنى «يتقمعن»: أي يتغيبن منه ويدخلن من وراء الستر، ومعنى «فيسربهن»: أي يرسلهن.

وفي الطبقات الكبرى لابن سعد عن عروة عن عائشة رضي الله عنها تقول: (دخل عليّ الرسول ﷺ يوماً وأنا أَلْعِبُ بالبَنَاتِ، فقال: «ما هذا يا عائشة؟» فقلت: خيل سليمان، فضحك).

الطبقات لابن سعد، ١٠٤١ ج ١، ص ٦٢.

وكانت تروي بعض ما كان النبي ﷺ يفعله لها، فتقول: (لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتي، والحنينة يلعبون

بالحراب في المسجد. وإنه ليسترني بردائه لكي أنظر إلى لعبهم. ثم يقف من أجلي حتى أكون أنا التي انصرف). الذهبي، ج ٢، ص ١٥١

وتقول كذلك حاكية بعض مواقفه معها (كنت مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره. وكنت جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن. فقال رسول الله ﷺ للناس: تقدموا. فتقدموا. ثم قال: يا عائشة تعالي حتى أسابقك. فسابقته فسبقته. فسكت حتى إذا حملت اللحم ونسيت. خرجت معه في بعض أسفاره. فقال للناس: تقدموا. فتقدموا. ثم قال لي: تعالي أسابقك. فسابقته فسبقتني. فجعل يضحك ويقول: هذه بتلك). الطبري، ١٩٨٩م، ص ٩١.

كان ذلك يحدث بطبيعة الحال في بواكير زواجها. مراعاة لصغر سنها. لكنها ما كانت لتبقى في ذلك اللهو طويلاً. وهي تعاشر رسول الأمة. فسرعان ما فتحت عينها في بيت الهدى والنور. وبدأت تفهم الدور العظيم الذي أراد الله تعالى لها أن تتولاه. فكان كتاب الله تعالى. وحفظ سنة نبيه الكريم من أكثر ما يشغلها.

٢. الحبيبة النبوية:

احتلت في قلب النبي منزلة رفيعة لم يصل إليها غيرها من أمهات المؤمنين. والصحابة جميعاً. رضوان الله عليهم. يعرفون قدرها وقربها من رسول الله ﷺ.

وفي فضيلة قربها منه وعظيم محبته لها. نذكر ما رواه الترمذي بسنده المتصل عن عمرو بن العاص أنه قال: (قيل يا رسول الله أي الناس أحب إليك قال عائشة. قيل من الرجال قال أبوها). حديث رقم ٣٨٨٦. صحيح.

فكانت هي حبيبة رسول الله ﷺ. ولذلك قال الذهبي بعد إبراهه هذا الحديث تعليقاً عليه: وهذا حديث ثابت صحيح رغم أنوف الروافض. وما كان ﷺ ليحب إلا طيباً وقد قال: «لو كنت متخذاً خليلاً من هذه الأمة لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الإسلام أفضل».

يقول الذهبي: فأحب ﷺ أفضل رجل وأفضل امرأة من أمته. وكثيراً ما كانت السيدة عائشة (رضي الله عنها) تسأله: (كيف حيك لسي؟) فيقول: «كعقدة الخيل». فتقول: (كيف العقدة يا رسول الله؟) فيقول «هي على حالها». حلية الأولياء ٤٤ / ١٢

ولقد كان الناس يتحزون بهدأتهم يوم عائشة: قالَتْ عَائِشَةُ: (فَاجْتَمَعَ صَوَاحِبِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَقُلْنَ يَا أُمَّ سَلَمَةَ وَاللَّهِ إِنَّ النَّاسَ يَتَحَزَّوْنَ بِهَدَاتِهِمْ يَوْمَ عَائِشَةَ وَإِنَّا نُرِيدُ الْخَيْرَ كَمَا تُرِيدُ عَائِشَةَ فَمَرَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ أَنْ يُهْدُوا إِلَيْهِ حَيْثُ مَا كَانَ أَوْ حَيْثُ مَا دَارَ. فَالْتَفَتَتْ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ أُمَّ سَلَمَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَالْتَفَتَ فَأَعْرَضَ عَنِّي فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّلَاثَةِ ذَكَرْتُ لَهُ فَقَالَ يَا أُمَّ سَلَمَةَ لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنَا فِي حَافِ أُمْرَةٍ مَنُكَّنَ غَيْرَهَا».

أخرجه البخاري حديث رقم ٣٥٦٤

وهذه فضيلة لها عن باقي أزواج النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). وفي مرضه الذي توفي فيه. كان يقول: «أين أنا غدا. أين أنا غدا». يريد يوم عائشة (رضي الله عنها). ليكون هناك. فكان يحب أن

يكون بين يديها. فعلم أزواجه ذلك. وفضنَّ إلى حبه أن يكون عند عائشة (رضي الله عنها). فأذن له أن يكون حيث شاء. فعن عروة عن عائشة (رضي الله عنها). أن رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه يقول: «أين أنا غدا. أين أنا غدا» يريد يوم عائشة. فأذن له أزواجه يكون حيث شاء. فكان في بيت عائشة (رضي الله عنها) حتى مات عندها. قالت عائشة: (فمات في اليوم الذي كان يدور عليّ فيه. في بيتي. فقبضه الله وإن رأسه لبين نحري وسحري. وخالط ريقه ريقني). قالت: (دخل عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه سواك يستن به. فنظر إليه رسول الله ﷺ حتى ظننت أنه يريد. فقلت له: أعطني هذا السواك يا عبد الرحمن. فأعطانيه. فقمضته. ثم مضغته. فأعطيته رسول الله ﷺ فاستن به. وهو مستند إلى صدري) البخاري.

فأي فضل أعظم من أن يموت سيّد المرسلين وخير الورى على صدر هذه الطاهرة النقية.

وهذه سودة بنت زمعة لما كبرت. ولم ترد أن يطلقها رسول الله. وهبت يومها لعائشة لعلمها أنها أحب الناس إليه. فكأنها توددت إليه بذلك تبتغي رضاه. ويؤكد ذلك ما ورد في صحيح مسلم عن السيدة عائشة قالت: (ما رأيت امرأة أحب إلي أن أكون في مسلاخها من سودة بنت زمعة. من امرأة فيها حدة. قالت: فلما كبرت. جعلت يومها من رسول الله ﷺ لعائشة. قالت: يا رسول الله. قد جعلت يومي منك لعائشة. فكان رسول الله ﷺ يقسم لعائشة يومين. يومها ويوم سودة».

صحيح مسلم كتاب الرضاع

وكما كان ﷺ يحمل للسيدة عائشة في قلبه أعظم مشاعر الحب. كانت هي أيضاً تحب رسول الله ﷺ محبة شديدة. حتى إنه وُصف بأول حب في الإسلام. قال أنس (رضي الله عنه): (أول حب كان في الإسلام حب النبي ﷺ لعائشة (رضي الله عنها) حلية الأولياء ٤٤ / ١٢

قالت أم سلمة لما بلغها موت عائشة: (والله لقد كانت أحب الناس إلى رسول الله ﷺ إلا أباه). وعرف كبار العلماء من التابعين للسيدة عائشة هذه المكانة أيضاً. فقد كان مسروق إذا حدث عنها قال: (حدثني الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله. المبرأة من السماء).

يضاف إلى ذلك كله أدبها الرفيع وذوقها البديع وفصاحة لسانها وعلو بيانها. فقد كانت في حديثها مع النبي ﷺ تزداد ذوقاً وأدباً وبيانا. يدل على ذلك جوابها النفيس للنبي ﷺ عندما قال لها: «كنت لك كأبي زرع لأم زرع». قالت: (بل أنت خير من أبي زرع).

ولنتأمل حسن منطقها وعلو ذوقها في معاملتها للحبيب ﷺ قالت: (قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت علي غضبي». قالت: فقلت: من أين تعرف ذلك؟! فقال: «أما إذا كنت عني راضية. فإنك تقولين: لا ورب محمد. وإذا كنت غضبي قلت: لا ورب إبراهيم». قالت: قلت: أجل والله يا رسول الله ما أهجرت إلا اسمك) رواه البخاري.

ومن شدة حبها للرسول كانت تغار عليه. فعن عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي ﷺ حدثت أن رسول الله ﷺ حجَّ من عندها ليلاً. قالت فغرت علىه. فجاء فرأى ما أصنع فقال: «مالك يا عائشة

أَغْرِي؟» فَقُلْتُ: وَمَالِي لِأَبَعَارٍ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ؟. صحيح مسلم وغيرها لم تكن لتغلغل في أعماقها؛ بل كانت تقف عند الحدود التي تقضي بها قواعد الدين والعدل.

ولقد كانت عائشة (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) تهتم بالنبي ﷺ، في دقيق الأمر، وكانت تجلّه بأسلوب نبئٍ بعميق الحبة الكامنة في قلب العروس المتجدد؛ ففي كل رواية عنها حُذِّثَ بها الفقهاء ليأخذوا عنها علم نبئهم جُد رسالة حنان ووفاء للنبِيِّ ﷺ خرجت عفويًا من الموقف دون أن تدري عائشة الجنون. أنها خرجت لتنبئ بعميق الود وجميل العلاقة التي كانت بينهما ومن أمثلة ذلك: ما ذكرته (أنها كانت تنبذ لرسول الله ﷺ غدوة، فإذا كان من العشي فتعشى، شرب على عشائه، فإن فضل شيء صببته أو فرغته، ثم تنبذ له بالليل، فإذا أصبح تغدى فشرب على غدائه، قالت: نغسل السقاء غدوة وعشية، وكانت تعد له الطعام وتقري ضيوفه المتوافدين في بيتها، وكانت تهتم بملابسه ونظافته الشخصية تقول: (كنت أفرك المني من ثوب رسول الله ﷺ فيصلي فيه)، وكانت ترحل شعره وخسنه، تقول: (كنت أرجل رأس رسول الله ﷺ وأنا حائض البخاري).

وينام على فخذه طويلاً فلا تفرغه، وكانت تطيع أوامره وتحترم وجوده ﷺ في أحلك المواقف بين عائشة وضرائها رضي الله عنهن جميعاً نرى الأدب الجم والطاعة من عائشة لزوجها.

٣. علاقتها بأل البيت (فاطمة وعلي):

وقد وردت أحاديث ومواقف تؤيد الحبة بين عائشة وعلي وفاطمة وذريتهما رضي الله عنهم أجمعين: فقد روت عائشة (رضي الله عنها) حديث الكساء في فضل علي وفاطمة والحسن والحسين، وقد قالت: كُنْتُ أَرُؤُاجَ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَهُ لَمَّا يُعَادِرُ مِثْلَهُ وَاحِدَةً فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةَ تَمْنِي مَا تَحْطِي مِثْلَهَا مِنْ مِثْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سُبْحَانَا فَلَمَّا رَأَاهَا رَحَّبَ بِهَا فَقَالَ: «مَرْحَبًا يَا بِنْتِي»، ثُمَّ اجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ سَارَهَا فَبَكَتُ بَكَاءً شَدِيدًا فَلَمَّا رَأَى جَزَعَهَا سَارَهَا الثَّانِيَةَ فَصَحَّكَتُ فَقُلْتُ لَهَا حَصَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ بِالسَّرَارِ ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَأَلْتَهَا: (مَا قَالَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: (مَا كُنْتُ أَفِيئِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِيرَةً)، قَالَتْ: فَلَمَّا تُوْفِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: (عَزَمْتُ عَلَيْكَ بِمَا لِي عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ لَمَّا حَدَّثْتَنِي مَا قَالَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: (أَمَّا الْآنَ فَنَعَمْ، أَمَّا جِئِن سَارْتِي فِي الْأَمْرَةِ الْأُولَى فَأَخْبَرْتِي: «أَنَّ جِيرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ الْفَرَّانَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ وَإِنَّهُ عَارِضُهُ الْآنَ مَرَّتَيْنِ وَإِنِّي لَا أَرَى الْأَجَلَ إِلَّا قَدْ اقْتَرَبَ فَأَتَمَّى اللَّهُ وَأَصْبِرِي فَإِنَّهُ نِعَمَ السَّلَفِ أَنَا لَكَ»، قَالَتْ: «فَبَكَتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتِ، فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارْتِي الثَّانِيَةَ فَقَالَ: «يَا فَاطِمَةُ أَمَا تَرْضِي أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ»، قَالَتْ فَصَحَّكَتُ صَحَّكَ الَّذِي رَأَيْتِ، رواه البخاري ومسلم.

أما عن افتراء أنها كانت تكره علياً رضي الله عنه وأنها سجدت يوم قتل، وأنها رمّت سهماً في جنازة الحسن رضي الله عنه؛ فهذا من الكذب الواضح، إذ كيف تكره أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) علياً بن أبي طالب وأبناءه، وقد روت عدداً من

الأحاديث في فضائل علي وأهل البيت رضي الله عنهم، ذكره أئمة الحديث بأسانيدها، وهي تدل دلالة واضحة على عظيم احترامها وتقديرها لأمر المؤمنين علي وأهل البيت رضي الله عنهم أجمعين.

فقد روت حديث الكساء في فضل علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، وأخبرت عن محبة الرسول ﷺ للحسين بن علي رضي الله عنهما، وكانت تحيل السائل على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليجيبه عندما سُئِلَتْ عن المسح على الخفين، وطلبت من الناس بعد استشهاد عثمان رضي الله عنه أن يلزموا علياً رضي الله عنه بالبيعة؛ فقد أخرج ابن أبي شيبة، أن عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي سأل عائشة من يبايع؟ فقالت له: إلزم علياً .

انظر (فتح الباري) للحافظ ابن حجر والعسقلاني (١٣/ ٢٩، ٤٨). وكانت علاقتها بعلي بن أبي طالب مبنية على المودة والاحترام والتقدير المتبادل، فعلي أعرف الناس بمقام السيدة عائشة، ومنزلتها في قلب رسول الله ﷺ وقلوب المسلمين، كما كانت هي الأخرى تعرف لعلي سابقته في الإسلام، وفضله وجهاده، وتضحياته، ومصاهرته للنبي (صلى الله عليه وسلم).

وقد روت السيدة عائشة مناقب أهل البيت التي تعد شامة في مناقب الإمام علي رضي الله عنه؛ من ذلك ما أخرجه مسلم عن عائشة، (رضي الله عنها) قالت: (خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٣).

ولما بويع علي رضي الله عنه خليفة للمسلمين، لم يتغير موقفها منه ولا حملت في قلبها عليه، وهي التي كانت تدعو إلى بيعته كما تقدم، وكانت تعرف مكانته العلمية والفقهية، لذلك عندما سألها شريح بن هانئ عن المسح على الخفين، قالت له: (عليك بابن أبي طالب فسله فإنه كان يسافر مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب: التوقيت في المسح على الخفين.

- ذكر الحافظ (ابن حجر) في فتح الباري قول المهلب: (إن أحداً لم ينقل إن عائشة ومن معها نازعوا علياً في الخلافة، ولا دعوا إلى أحد منهم ليولوه الخلافة). ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ٧٠ / ١٣.

ووصية رسول الله ﷺ لسيدة نساء الجنة فاطمة (رضي الله عنها) بأن تحب عائشة (رضي الله عنها)، قال النبي ﷺ: «أي بنية، أئست تحبين ما أحب» فقالت: بلى، قال «فأحبي هذه».

أخرجه البخاري في كتاب الهبة وليس هناك خير من عائشة وفاطمة (رضي الله عنهما)، لينفذا وصية رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقد كانت عائشة أحداً كان أصدق لهجة منها إلا أن يكون الذي ولدها). ووصفت عائشة فاطمة بأجمل الصفات: إذ شبّهتها بالنبي في كل شيء، سمناً وهدياً، ولا قالت عائشة لها ذات مرة، ولعل هذا

كان عند وفاة فاطمة : (ألا أبشرك. أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (سيدات نساء أهل الجنة أربع: مريم بنت عمران، وفاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وخديجة بنت خويلد، وأسية). أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة وهذا من أوضح الأحاديث التي تبين حقيقة العلاقة بين فاطمة وعائشة رضي الله تعالى عنهما. وأن فاطمة كانت تعرف ما لعائشة من حق عليها. وكانت عائشة تعرف قدر فاطمة عليها السلام وأنها سيدة نساء هذه الأمة.

٤. حادثة الإفك والبراءة من السماء:

ملخص القصة: أنه عند قفول الجيش من الغزوة فقدت عائشة عقداً لها. فذهبت لتبحث عنه. فتأخرت عن الجيش. فاحتمل الناس هودجها ووطنوا أنها فيه. لحقتها حينئذ. وساروا. فلما وجدت عقدها ورجعت. كان الجيش قد سار. فلبثت مكانها فرما يفتقدونها فيعودون إليها. فغلبتها عينها فنامت وكان صفوان بن المعطل في مؤخرة الجيش. فرأها نائمة فأيقظها باسترجاعه: لأنه كان قد رآها قبل الحجاب. فركبت عائشة ناقته. وانطلقت معه. وهو يقودها. فلحقا بالجيش وهم نازلون في مكان ما في نحر الظهرية.

فهلك في عائشة من هلك. وكان ممن تولى كبره هو عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين. ولم تعرف عائشة أن الناس يتكلمون في شأنها. إلا بعد شهر من مقدمها إلى المدينة. إذ كانت مريضة. وكانت لا ترى اللطف الذي كان من رسول الله حين تكون مريضة. فلما شفيت. وخرجت مرة لحاجتها هي وأم مسطح. أخبرتها أم مسطح بالذي يقوله الناس فيها. وكان مسطح من قال في عائشة. وكان أبو بكر الصديق ينفق عليه. فهو ابن خالة أبي بكر الصديق. فلما سمعت عائشة ذلك ازدادت مرضاً. فاستأذنت عائشة رسول الله أن تذهب لأبويها. فذهبت. فاستيقنت الخبر منهما. فلم تذق طعم النوم. ولا زالت تبكي حتى جف دمعها. حتى دخل عليها النبي ذات يوم. فتشهد ثم قال: «يا عائشة. فإنه بلغني عنك كذا وكذا. فإن كنت بريئة. فسبيرك الله. وإن كنت ألمت بذنب. فاستغفري الله وتوبي إليه. فإن العبد إذا اعترف بذنبه. ثم تاب تاب الله عليه».

قالت عائشة: (لئن قلت لكم إنني بريئة. والله يعلم إنني بريئة. لا تصدقوني بذلك. ولئن اعترفت لكم بأمر. والله يعلم أنني بريئة لتصدقني. والله ما أجد لي ولكم مثلاً. إلا أبا يوسف إذ قال: فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ). وكان كل أمنية عائشة أن يرى رسول الله في المنام رؤيا تبرئها بها. ولم تك تظن أن ينزل في شأنها قرآن.

ولكن هذا ما حدث. فما رام النبي ﷺ من مجلسه. ولا خرج منه أحد. حتى أنزل عليه الوحي. فأخذ ينحدر منه العرق كحبات اللؤلؤ. مما يأخذه من شدة الوحي. فلما سرى عنه تهلل وجهه فرحاً وقال: «يا عائشة احمدي الله فقد برأك الله». فقالت لي أمي: قومي إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم). فقلت: لا والله. لا أقوم إليه. ولا أحمد إلا الله عز وجل. قالت: وأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا حَسْبُوهُ سَرًّا لَّكُمْ

بَلْ هُوَ خَبْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ * تَوَلَّى إِسْمَاعِيلُ إِسْمَاعِيلُ وَكَانَ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأَنْفُسِهِنَّ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ (النور: ١١-١٢).

ثم أنزل الله هذا في براءتي. قال أبو بكر الصديق. وكان ينفق على مسطح بن أثانة لقرابته منه ولفقره. والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً. بعد الذي قال لعائشة ما قال. فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّيِّعَةُ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النور: ٢٢).

قال أبو بكر الصديق: بلى والله إنني لأحب أن يغفر الله لي. فأرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفقها عليه. وقال: والله لا أنزعها منه أبداً. قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش عن أمري. فقال لزينب: «ماذا علمت أو رأيت؟» فقالت: (يا رسول الله أحمي سمعي وبصري. والله ما علمت إلا خيراً). قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع. قالت: وطفقت أختها حمنة تخرب لها. فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك. البخاري. ٤٢٢ هـ.

قال ابن إسحاق: وحدثني أبي إسحاق بن يسار عن بعض رجال بني النجار: أن أبا أيوب خالد بن زيد. قالت له امرأته أم أيوب: يا أبا أيوب. ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى وذلك الكذب. أكنت يا أم أيوب فاعلة؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله. قال: فعائشة والله خير منك. ابن هشام. ١٠٤١ هـ ج. ٣ ص ٣١٥.

هذا ملخص للمحنة الكبرى التي حدثت للسيدة عائشة رضي الله عنها. وهذه الحادثة. كانت من ابتلاءات الله عز وجل لهذه الأمة. ليميز الله الخبيث من الطيب. وليهلك من هلك عن بينة. ويحيي من حي عن بينة. وليزداد الذين آمنوا إيماناً ويزداد المنافق نفاقاً. وهذه كانت من حكمة الله عز وجل في تأخر نزول الوحي. زاد المعاد. ابن القيم. ١١٣٢-١١٦٧.

وهكذا خرجت السيدة عائشة (رضي الله عنها) من محنتها بشهادة ربابية ببراءتها وطهرها وطيبها. شهادة لا تحمها الأيام ولا تخلقها الأعوام: ما زاد في مكانتها في قلب رسول الله (صلى الله عليه وسلم). وأعلى من مقامها في نفسه ونفوس المؤمنين إلى يوم الدين.

وما تلك النبذة المنتقاة من حياتها الشريفة وأخبارها: إلا غيض من فيض. لسيرة العبقريّة الفذة أم المؤمنين (رضي الله عنها). في بيت الحبيب (صلى الله عليه وسلم). والتي لم تبلغ امرأة شأوها من معاصريها. فضلاً عن أن تعدلها أي شهيرة من شهيرات عالم النساء في خصائصها وميزاتها.

وهكذا نلمس عظيم الأثر للسيدة التي اعتبرت نبراساً منيراً. والتي كانت أقرب الناس لعلم الأمة وأحبهم إليه. وأخذت عنه كثيراً من العلوم والآداب والقيم وأفادت بها المجتمع الإسلامي.

فحري بكل فتاة وامرأة وزوجة مسلمة أن تتأسى بأم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها). وما تزخر به سيرتها العطرة من قيم نبيلة سامية: ولتطبقها في حياتها الزوجية والأسرية لتنعم بالراحة والهناء. ولتترفع السعادة والوفاق على أرجاء بيتها. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



من نماذج الحوار الحضاري في الأندلس

بقلم: الدكتورة أمينة بن منصور

المركز الجامعي بعين تشومنت - الجزائر

لئن كان مصطلح الحوار الحضاري مصطلحاً حديثاً فإن أولى بواده ظهرت في الأندلس ولا ريب، فعلى أرضها أقيمت أكبر المناظرات بين الأديان الثلاثة: الإسلام والمسيحية واليهودية . وعلى هذا، فالمناظرة حملت على عاتقها هذا العبء الكبير الذي أتعب الناس ردحاً من الزمن؛ المناظرة التي توفر جواً فسيحاً من الحوار والنقاش والسجال المدعوم بالحجج والدلائل التي من شأنها ظهور فئة على حساب أخرى .

بتعطيلها ... وقد يلج السلطان في شيء من ذلك فلا ينكره . فيدخلون عليه قصره المشيد .. حتى يخرجوه من بلدهم . كان الأدب الأندلسي أيضاً يتنافس في جو من التشبع الديني وهو ما يظهر في أشعار الزهاد والأتقياء: (ينظر دراسات في الأدب الأندلسي : إحسان عباس : ١٠) . وقد ولع الأندلسي بالتفقه في الدين ومناظرة غيره في ذلك . « فقد كان الفقهاء يتمنون الجلوس قصد المناظرة

والواقع أن الطرف الأندلسي لم يكن في نيته إقناع الطرف الآخر بصحة معتقده، بقدر ما كان همه الدفاع عن دينه . فقد ذهب أكثر الدارسين إلى القول: إن « شعب الأندلس شعب متدين، والمنفلتون فيه من ربة الإيمان قلة وهم لتدينهم يجلون علماء الدين ويحترمونهم، ويعظمون الفقهاء و يوقرونهم» (انظر الأدب الأندلسي موضوعاته و فنونه : مصطفى الشكعة : ٧٣) . ومن مظاهر تدينهم الإسراع في إقامة الحدود و إنكار التهاون

اتخذ حجاباً على صورتنا لينقذنا بدمه الطاهر من هلكة إبليس» (رسائل أندلسية : فوزي العيسى : ٢٢١). يخاطب الراهبُ المقتدرَ بأسلوب الوائق من نفسه الموقن بصحة كلامه ، بل العجب حين يخاطبه و كأنه شاب ضال عن طريقه ، أو واحد من الذين جاؤوه يطلبون الغفران ! و يواصل هذا الراهب فيقول : «و لقد كنا [نود أن] نورد كثيراً من هذا القول لولا ما نتوقعه من تألك بسماعه ، و في ذلك كله برهان الملة المسيحية و بيان جلالتها ، و إن الإحاطة بكنهها ما يعجز عنه إدراك الإنسان» (نفسه : ٢٢١) .

ثم هو يعيد عليه نصيحته التي افتتح بها كلامه عسى أن ينقذ نفسه قبل فوات الأوان ، فقال : « فتأمل أيها الحبيب ما يحق عليك تقديم العمل به و المسارعة إليه ، و اغتبط بما يدين به إخواننا في هذا القطر ... و السلام عليك من سيدنا المسيح الذي أذهب الموت وقهر الشيطان ، و رحمة منه و بركة باستنقاذك من حبال إبليس التي كنت فيها متورطاً إلى الآن» (المرجع نفسه ، ٢٢٣).

إن الحوار هاهنا اتخذ شكل النصيحة و الرغبة في مصلحة و خير الطرف الآخر . ولا يخفى علينا أن الراهب الفرنسي برسائله هذه إنما أراد استمالة المقتدر إلى دينه النصراني ، و استمالة خلق كبير معه .

و قد أجاب الراهب و حاوره على طريقته تلك ، أبو الوليد الباجي (ت ٤٧٤هـ) . إذ قال : «و إنا لنرباً بمثلك و نرفع قدرك عما استفتحت به كتابك من أن عيسى عليه السلام ابن الله تعالى ، بل هو بشر مخلوق .. لا يعدو عن دلائل الحدوث من الحركة و السكون و الزوال و الانتقال .. و أكل الطعام و الموت .. و إن الله تعالى خلق عيسى من غير أب كما خلق آدم من تراب ، و قد حملت بعيسى أمّ و لم تحمل بآدم أنثى و لا ذكر ، فإذا لم يكن آدم إلهاً - و هو الأب الأول - بل هو مخلوق ، فعيسى أولى أن لا يكون إلهاً و هو من ذرية آدم وولده .. و إن هذا لو واضح لمن جهل معنى الحدوث ، ولم يميز الخالق من المخلوق» (نفسه : ٢٢٦) .

ثم تناول نقطة أخرى لا تقل أهمية ، و هي إحياء الموتى ، التي اتخذها النصراني ذريعة لتأليه (عيسى عليه السلام) ، و قد عمد الباجي إلى نقضها بضرب أمثلة من التاريخ ، فقال : « قد ظهر على أيدي سائر الرسل - عليهم السلام - من الآيات الواضحة و المعجزات الباهرة مثلما ظهر على يدي عيسى و أكثر ، فلو جاز أن يدعى لعيسى بشيء مما ظهر على يديه من إحياء الموتى .. بأنه ابن الله تعالى لجاز أن يدعى ذلك لإبراهيم و موسى و محمد [عليهم السلام] .» ثم يرد الباجي على المسألة الثالثة و هي أنه لا يجب الإيمان

لما في ذلك من الفوائد العلمية ، و تبادل الآراء الفقهية و الاطلاع على الاجتهادات العقلية المشفوعة بالدليل الشرعي» . (المدرسة المالكية الأندلسية: مصطفى الهروس : ٣٦٤).

و جدير بالذكر أن «المسلمين والنصارى و اليهود كانوا يشكلون مجتمعاً واحداً ربطته وحدة الدم ... و لم يكن لتعصب الديني وجود إلا بعد أن أدخلته عناصر غير إسبانية إلى شبه الجزيرة إثر سقوط طليطلة» ، حيث كان سقوط طليطلة (٤٧٨ هـ) المنعرج الفاصل في التاريخ الأندلسي ، بل هو بداية نهاية وجود المسلمين في الأندلس ، و به ارتبط التحول الخطير الذي أدى إلى دخول المرابطين ثم إلى سقوط دول الطوائف و اندثارها . (ينظر: تاريخ الأدب في الأندلس عصر الطوائف و المرابطين: إحسان عباس : ١٤٧).

ويمكن القول إن الحوار الحضاري الذي جرى في الأندلس كان بالدرجة الأولى بين الإسلام و المسيحية و بدرجة أقل اليهودية ، فقد « جمعت المناظرة الدينية بين الإسلام و النصرانية منذ أن اضطرهما التاريخ إلى الالتقاء ببعضهما ، و لقد عبرت هذه المجادلة عن تأسيس هذين الدينين لمعرفتهما بذاتهما من خلال تأملهما و دراستهما لعناصر الاختلاف و الائتلاف بينهما ، كما عبرت المناظرة ذاتها عن مختلف الضرورات التاريخية التي دفعت بالدينين المذكورين إلى الانخراط معاً ضمن تقليدين مختلفين : تقليد التعايش و المثاقفة من جهة ، و تقليد بسط الهيمنة و السيطرة و تأجيج روح الإلغاء و الإقصاء المتبادلين بينهما من جهة ثانية» . (انظر قواعد المناظرة و أخلاقياتها من خلال مجادلة محمد القيسي و محمد الأنصاري : محمد عبد الواحد العسري ، جامعة تطوان ، مجلة التاريخ العربي : العدد ١٥ : ٢).

و حوار المسلمين مع النصراني لم يغلب عليه العنف كما يُظن ، بل نجد في كثير من الأحيان يتسم بالهدوء ، و يبتعد عن الهمز و الغمز .

ومن تلك الحوارات الدينية : رسالة راهب فرنسي - يختلف المؤرخون في تحديد اسمه - إلى المقتدر بالله التي يدعوها فيها صراحة إلى اعتناق المسيحية مبيناً له أنها طريق الرشاد و الخلاص ، إذ قال : « رأينا أن نراسلك و ندعوك لتؤثر الملك الدائم على الملك الزائل الفاني .. و ليس يسعنا أن نتراخي عن الاجتهاد في تميم هذه المصلحة بجميل معونته .. و لهذا الأمر أشخصنا إليك من إخواننا من يوردون عليك كلاماً إلهياً .. و يشرحون لديك حقيقة النصراني ، و يقررون عندك معرفة المسيح سيدنا الذي لا ينبغي لنا الإيمان بأحد سواه ، و لا نرجي النجاة إلا به ، فهو الإله الذي

بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِلَّا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَ لَا نَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَ لَا
يَتَّخِذُ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا
أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» (آل عمران: ٦٤) .

لقد استطاع الباجي بهذه الرسالة أن يرد ادعاءات الراهب
و ينقضها بما لا يفسح مجالاً للاعتراض عليها. فالباجي
يملك القدرة على مناظرة غيره و لا تنقصه في ذلك
الحجج والأدلة القطعية . فضلا على اعتماده الأسلوب
الهادئ البعيد عن الغمز و اللمز و هو ما يكسبه احترام
الآخر و يهيئه لقبول كلامه .

هذا جانب من حوار الأديان مع الآخر قبل سقوط الأندلس.
والأمودج الثاني هو لواء من الموريسكيين الذين ظلوا
يحاورون الآخر بعد سقوط آخر معاقل المسلمين بالأندلس.
هو أحمد بن حجر أفوقاي الذي وصل إلى المغرب نحو سنة
١٠٠٧ هـ وأواخر عهد المنصور الذهبي . و لا تتوفر لدينا سنة
وفاته (بنظر : رحلة أفوقاي الأندلسي : ١١) . وقد ألف كتابا
بعنوان « ناصر الدين على القوم الكافرين» وهو اختصار
لكتابه السابق «رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب» . كما
ألف كتابا آخر لم يصلنا عنوانه: «العز والرفعة والنافع
للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع» نقل فيه محاورته
راهبا نصرانياً بأسلوب المكاتبية. وضمنه مجادلته لليهود
و النصراري خلال رحلاته إلى فرنسا وهولندا وغيرها . ومن
مناظراته. هذه المناظرة التي مهد لها بذكر بعض الحقائق
حولهم و عنهم يقول: «اعلم أن اليهود الذين هم بتلك
البلاد كان أصلهم في قديم الزمان وفي زمننا ببلاد الأندلس.
وأكثرهم ببرتغال. وكانوا في الظاهر نصارى . وفي خفاء
منهم يهود ... وجميع اليهود فيهم من الكبر الخفي ما
لا كنت أظن فيهم حتى رأيتهم بالبلاد المذكورة». ثم
يبين أفوقاي الطرق التي التمسها للرد على اليهود الذين
لا يقنعهم إلا كلام مأخوذ من كتبهم كما هو شأن
النصارى. و من المسائل التي دارت حولها المناظرة مسألة
محو الله تعالى ما يشاء و تثبيت ما يشاء . يقول أفوقاي:
«نحن عندنا في ديننا محو الله ما يشاء و يثبت. وعنده أم
الكتاب . قالوا: ليس ذلك عندنا . قلت لهم عندكم في
التوراة مسألة مثل ما قال الله في القرآن إنه محو و يثبت.
قالوا : في أي موضع في التوراة ؟ قلنا: في الباب العشرين
من كتاب الثاني للسلطين. وذكر له قصة السلطان الذي
مرض مرض الموت . و حزن لذلك حزنا شديدا . ثم زاده الله
خمس عشرة سنة . فمحا الحكم الأول و هو الموت و ثبت
الثاني و هو تمديد الأجل . و من مناظراته معهم ما جرى
بينه و بين اليهودي الذي ادعى أن عمر الإسلام قصير. إذ
قال: «إن كل من يأتي بدعوة باطلة لم تبلغ و لا تدوم ألف

إلا يعيسى وحده . مبينا أن هذا الكلام يناقض النصرانية
نفسها فيقول: « وقد رأينا ما في كتابك ما خالفت فيه
جميع أهل ملتك. فإنه ليس في فرق النصارى من يقول
إن المسيح لا ينبغي الإيمان بأحد سواه . بل هو الإيمان بالأب
عندكم واجب والأب لم يتحد بالناسوت عندكم و إنما
اتحد به الابن. فمن لم يؤمن بغير الابن كفر بالأب . و قد
تقدم في كتابك أن المسيح ابن الله . و هذا نقض لقولك
إنه لا ينبغي الإيمان بغير المسيح الذي هو الابن » (رسائل
أندلسية: ٢٣٠). هكذا بين الباجي تناقض كلام الراهب مع
الواقع والمنطق والعقل . بل حتى مع شريعته هو !

وقد أظهر الباجي تمكنه كمناظر يلتزم بأدب المناظرة. فيرد
أقوال خصمه بأمثلة من الواقع يصدقها العقل. وبأسلوب
لين يبتعد عن التجريح و التعريض . و لكنه يعذر الراهب
فيما ذهب إليه . ذلك أن كل ملة و فرقة فرحة بما لديها .
« و كذلك تقول البراهمة الذين يكذبون الرسل. و الدهرية
الذين يدعون الأزل . و الفلاسفة القائلون بقدم العالم .
و الثنوية المثبتون لخلق النور والظلام» (نفسه: ٢٣١) . و
يسترسس الباجي في محاورته مبينا أن الله تعالى بعث
النبیین مبشرين و منذرين. وأنهم جميعا جاؤوا برسالة
التوحيد . ثم يعود لنقض كلام الراهب الذي ادعى أن
عيسى (عليه السلام) سينقذ البشرية بدمه الطاهر
فيقول : «و من أغرب ما تأتون به قولكم أنه بذل دمه في
خلاص العباد . وكيف يكون للرب دم. و الدم من الأجسام
المحدثة المخلوقة ؟ و لو حررتكم الكلام لزعمتم أنه دم الناسوت
دون اللاهوت و للزعمكم أن تقولوا إن المصلوب هو الناسوت
دون ابن الله - تعالى - لكنكم حققتم أن إلهكم صلب و
مات. و هذه صفة لا تصح إلا على محدث مخلوق» (المرجع
السابق: ٢٣٣).

و أنهى الباجي رده بإثبات نبوة محمد عليه السلام التي
أنكرها الراهب فقال: «إن الله تعالى بلطفه و حكمته
و عطفه و نعمته بعث محمداً (عليه الصلاة و السلام)
فختم به الرسالة . و أكمل به النبوة و جعله آخر
المرسلين . و بعثه إلى جميع العالمين .. ابتعثه الله من خير
الأمم و هم بنو إسماعيل . ثم من خير بني إسماعيل وهم
قريش. قطب العرب و أفصحها ألسنا و أخلصها عنصرا..
فقام منفردا فيهم يدعوهم إلى عبادة الرحمن و خلع
الأوثان .. ثم أكرمه الله تعالى بالمعجز الذي فضله به على
جميع النبيين و المرسلين . و هو القرآن الذي حدى به الإنس
و الجن أجمعين».

ودعا الباجي الراهب أخيرا إلى اعتناق الإسلام متمثلا
بقوله تعالى : «قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء



للتنشر والتوزيع القاهرة، ١٩٨٣

- التعامل مع الآخر: إبراهيم بن محمد الحمد المزيني، مركز الملك عبد العزيز للوطنية، ط١، الرياض، ٢٠٠٥
- الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس: خالد السيوطي، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠١.
- المدرسة المالكية الأندلسية إلى نهاية القرن الثالث الهجري: مصطفى الهروس، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٩٩٧
- تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين: إحسان عباس، دار الشروق، ط١ الأردن، ٢٠٠١
- تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب: القسّ أنسلم تورسيديا الملقب بعبد الله الترجمان الأندلسي، ط: محمود علي حماية، ط٣، دار المعارف، مصر، دت.
- دراسات في الأدب الأندلسي: إحسان عباس، وداد القاضي، ألبير مطلق، الدار العربية للكتاب، ط٢، ليبيا / تونس، ١٩٧٦.
- رحلة أفوقاي الأندلسي، مختصر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب: أحمد بن قاسم الحجري أفوقاي، ط: محمد رزوق، دار السويدي للنشر والتوزيع بالإمارات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت، ط١ / ٢٠٠٤.
- رسائل أندلسية: فوزي عيسى، منشأة المعارف، ط١، الإسكندرية، ١٩٨٩.

سنة . قلت له هذا قول حسن لأن دعوة نبينا صلى الله عليه وسلم جازت الألف سنة بأكثر من عشرين سنة . فلما أن سمع ذلك نزل عليه الحزي والذل والتغيير . وخاب ظنه فيما كان يرجوه».

ومن مناظراته مع النصراني . قوله: « قد سمعت ببلاد الأندلس قبل خروجي منها مرارًا القسيسين والرهبان يذكرون الرؤيا التي رأى بخت نصر. و ما فسر النبي دانيال عليه السلام ويقولون إنه سيدنا عيسى عليه السلام هو الذي دلت عليه الرؤيا، و أن دينه عمر الدنيا، وسلاطين دينه غلبوا سلاطين الدنيا .. [فكان رده] أما السلطان بخت نصر فكان في مدينة بغداد . والنصارى لم تملك قط بغداد . و لا كان لهم فيها دار ملك كما كان للمسلمين . وأيضاً أن السلطان رأى الحجر الذي هرس الصنم وعظم حتى ملأ الدنيا كلها . و ذلك كان النبي محمد عليه الصلاة والسلام و أهل دينه لأنه هرس في مكة المشرفة الأصنام ... و لم يعبد صنم في البلاد التي دخلها الإسلام. أما النصراني بعد سيدنا عيسى عليه السلام فلا يعبدون إلا أصناما» .

إن أفوقاي في مناظراته مع اليهود والنصارى ينتهج منهجية معينة تقوم على الرد على هؤلاء انطلاقاً مما ورد في كتبهم ثم نقضها وفقاً لمعطيات تاريخية وعقلية يعرفونها تمام المعرفة .

فهذا إذن نموذج للحوار الحضاري الذي دار بين بعض الموريسكيين وغيرهم من النصراني واليهود. فالأندلس التي احتضنت أصحاب الأديان الثلاثة في تعايش ندر أن نجد له مثيلاً في غيرها . ظلت كذلك حتى بعد سقوطها. بفضل رجال لم يثنهم الطرد والنفى ومحاكم التفتيش عن مواصلة الرسالة الحضارية التي حملها الأجداد على عاتقهم .

وقد قال أحد الباحثين : «إن كان للأندلس أن تفخر بأشياء فلا شك أن الحوار الحضاري الذي تم على أرضها بين الشعوب العرقية والدينية . يأتي في مقدمة ما تفخر به . فهذه الجادلات أنتجت علماً كبيراً اتخذ له فيما بعد مسمى علم مقارنة الأديان» . (مقال للدكتور عبد الله بن إبراهيم العسكر . قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، ٢٢ مارس ٢٠٠٨).

قائمة المصادر والمراجع

- الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٤
- الأندلسيون المواركة: عادل سعيد بشتاوي، المقطم



مؤتمر رهاب الإسلام (الإسلاموفوبيا) في الدوحة

إعداد: زياب الصديق

أصبح التخوف الأعمى من الإسلام والمسلمين خطراً يهدد وجودهم وحقوقهم في ممارسة حياتهم . ويمنع تكاملهم مع المجتمعات التي يعيشون في أوساطها، وتشكل أحداث الاعتداءات الدائمة مظهراً يجمع بين كونه نتيجة وسبباً لهذا التخوف الذي سيعاني الطرفان من تداعياته لعقود.

أن تسببه أو تنتج هذه التصورات والأفكار وبروز أعداد من الطرفين تحركها مشاعر الكراهية التي حاول أن تفرضها على جمهور المجتمعات المعتدل غالباً . فإن من واجب المثقفين وذوي الرأي مدارسة ظاهرة الرهاب من الإسلام، وطرح الأسباب والنتائج والتصوير لوسائل التخفيف من تنامي هذه الظاهرة التي أضرت بأخلاق التعايش والتعاون وهدف سعي الإنسان لسعادته في حياته ومحيطه.

ضمن هذا الإطار نظم منتدى العلاقات العربية والدولية في قطر، وهو مركز للأبحاث والدراسات تأسس عام ٢٠١١م في الدوحة للإسهام في دعم التنمية الثقافية والسياسية وتعزيز آليات الحوار بين الأطراف السياسية والفكرية المختلفة. تناول مؤتمر «الرهاب من الإسلام - الإسلاموفوبيا» أسباب

إن النظرة النمطية للإسلام والتي روجت لها وسائل إعلام مختلفة من خلال مقابلات تلفزيونية ومقالات ومؤتمرات لا تشترك فيها أصوات معتدلة، هذا إلى جانب رسومات وأفلام تسيء لرموز المسلمين: ساعدت في صياغة ثقافة من الكراهية المتبادلة، التي يحرص صانعوها على تأكيدها. وقد رافقت الأزمة الاقتصادية والمنافسة على العمل: استثارة المشاعر الدينية واستدعاء أحداث التاريخ منذ الحروب الصليبية إلى زمن الاستعمار ثم صدامات الحاضر لتكون وقوداً في مواجهات مستمرة على أصعدة عديدة وقد ساعد كل هذا على صياغة وتنفيذ سياسات ومواقف عملية إقصائية أو عنيفة أساسها الخوف من المجهول القادم. ونظراً للأهمية الحاضرة والمستقبلية وما سببته وما يمكن

ظاهرة الرهاب من الإسلام، وتجليات هذه الظاهرة، وهل هناك هوية محددة للمجتمعات الأخرى تجعل المسلم غريباً فيها مهما حاول الاندماج؟ وهل هناك علمانية حقيقية في المجتمعات الغربية تسمح للمسلمين بالاعتراف بهم كمتكافئين في مجتمعه؟ ومظاهر الإقصاء، والاستغلال القانوني لمشاعر الكراهية ضد المسلمين لاستصدار قوانين موجهة ضدهم «الأدلة السرية مثلاً».

كما عرض المؤتمر دراسات خاصة عن ظواهر وأحداث مثل ظاهرة استغلال مسلمين وتحويل مؤسساتهم إلى مراكز مراقبة أو توريط، وعن بعض الشباب المسلم ضد مجتمعاتهم الغربية سواء هاجروا إليها أو هي أوطانهم، وأسباب هجرة بعض المسلمين لمواقع الصراعات المسلحة، ودور المؤسسات والحكومات والأفراد في نشر الوثام والسلم العام وتخفيف الضرر المسبب لهذه الظاهرة.

وأكد د. محمد حامد الأحمري مدير مئندى العلاقات العربية الدولية في كلمة افتتح بها المؤتمر بالدوحة أن الظروف الراهنة تحكم ظاهرة «الإسلاموفوبيا» الخطيرة والتي تؤثر سلباً على مسار العلاقات الدولية، لافتاً إلى أن هذا الموضوع اختير نظراً للتطورات والمعطيات والتحيزات التي يشهدها العالم، حيث إن هناك خيراً كبيراً ضد الدين الإسلامي، خاصة في الغرب الذي تحكمه ثقافات تتعارض في بعض محطاتها وتشريعاتها مع نصوص وتشريعات الإسلام كدستور للعالم.

وحذر د. الأحمري من مغبة استمرار ذلك المفهوم، مؤكداً أنه لن يتم تحقيق الأمن والاستقرار العالمي والتفاهم بين الثقافات المختلفة ما لم يتم إسقاط هذا المفهوم الخاطيء ضد الإسلام والمسلمين.

وأكد أن الإسلام هو دين محبة وتسامح وتفاهم وهو دستور لكل شعوب الأرض وليس لطرف على حساب آخر، متسائلاً لماذا ذلك العداوة والتحيز ضده؟

وقال: نحن هنا نعالج قضية التحيز ضد الإسلام، حيث إن هذا العالم بات يئن تحت تأثير التحيزات ذات الأثر السلبي في مسار العلاقات الإنسانية الدولية.

وحمل الإعلام الغربي تبعية تأجيج العداوة والتحيز ضد الإسلام، خاصة في الولايات المتحدة والغرب الأوروبي، لافتاً إلى أن اصطدام مناطق العالم الإسلامي مع الغرب القائم منذ الحروب الصليبية وحتى الآن ما زال يتأجج، والإعلام المغرض يعمل على زيادة هذا التأجج بين المعسكر الإسلامي والغربي، وأشار إلى أن هذا الجزء من العالم تسوده أفكار مشوشة، إذ إن هناك مشاعر عداوة للإسلام تمر مع الزمن وتكبر بحكم تنوع الثقافات وتأثير الإعلام المغرض.

ودعا د. الأحمري إلى ضرورة العمل من أجل التخلص من هذا المشهد حتى يتمكن العالم من العيش في أمن واستقرار

وتفاهم ومحبة. وأشار في سياق حديثه إلى أن العالم الإسلامي والمسلمين عموماً أصبحوا يشعرون بالأذى جراء هذا الموقف العدائي، خاصة بعد الغزو الفرنسي لمصر وتولدت مشاعر الغضب فأصبح العالم الإسلامي مع هذا الحال يشعر أنه بحاجة لمواجهة الغزاة.

وقال: لابد من ترسيخ ثقافة التفاهم والتقارب والحوار البناء لخلق فضاء آمن على المستوى العالمي وترسيخ حقوق الإنسان بالشكل الصحيح كونها أصبحت، أي حقوق الإنسان، أداة ضغط دولي لاعلاقة لها بالإسلام وفق منهجه الصحيح في هذا الإطار، إذ إن هناك مليارات ونصف المليار مسلم وفقاً لنظرة حقوق الإنسان الغربية لا يساوون شيئاً، وهذا الكم ليس له قيمة أمام ٦٠ ألف بريطاني أو فرنسي.

وأشار إلى أن الموقف الغربي الذي لا يأخذ بالاعتبار حقوق الإنسان المسلم، أجج المشاعر التي تتسم بالغضب في العالم الإسلامي الذي بات يشعر بالألم إزاء هذا التحيز الغربي ضده، وهنا بدأت تكمن المشكلة والصدام الذي لا يحمل إلا التوتر وعدم الاستقرار العالمي.

وأعرب عن أسفه لتصاعد هذا الموقف الغربي من مفهوم الإسلام، وقال نحن نعيش حقيقة في عالم فاسد غير ملتزم بالقيم ويتسم بالبلادة والتحيز.

وأشار إلى أن من العوامل المؤثرة كذلك الأزمات الاقتصادية والهجرة وثقافة اللغة الإنجليزية، داعياً للدفاع عن الدين والقيم الإسلامية والعمل على إسقاط مفهوم فوبيا الإسلام، لأن الإسلام دين محبة وتسامح وسلام.

وفيما يلي ملخصاً لبعض مداولات وأوراق المؤتمر:

الإسلاموفوبيا : التعريف والمصطلح :

تضمن برنامج المؤتمر مجموعة من الجلسات حمل كل واحدة عنواناً معيناً، حيث تناولت الجلسة الأولى خلال اليوم الأول «الإسلاموفوبيا : التعريف والمصطلح» وقدم الدكتور أحمد الجنابي الباحث بمعجم الدوحة التاريخي للغة العربية ورقة بعنوان «إسلاموفوبيا : تاريخية المصطلح ومنطلقاته». حيث صنف المصطلح عربياً بأنه من الدخيل، وهو مركب من كلمتين: عربية وهي: (إسلام)، و(فوبيا) بالإنجليزية (Phobia)، وهو بهذا الرسم العربي: (إسلاموفوبيا) لا يعني بالضرورة فهمه لدى كل من يتحدث العربية، وقد أخذت ترجمته إلى اللغة العربية تعبيرات عدة: منها: الرهاب من الإسلام، أو رهاب الإسلام، أو الإرهاب الإسلامي، والخوف منه، أو الخطر الأخضر، سيف الإسلام، أو التحدي الإسلامي، أو المسلم المتوحش... إلخ، ويندرج هذا المصطلح في حقل المصطلحات النفسية الوظيفية السيكو-اجتماعية.



مختلف أشكال الجرائم ضد الإسلام والمسلمين تزداد حدة وتكثر بالتزامن مع الهجمات التي يقوم بها المسلمون باسم الإسلام ضد المجتمعات غير المسلمة، فكل الأعمال العنيفة التي تتم ضد مجتمعات غير إسلامية هي بمثابة المبرر الذي يؤكد صدق ثقافة الكراهية للإسلام التي توجد أصلاً في هذه المجتمعات، فالعنصرية وكراهية الإسلام يتغذيان من هذه الممارسات التي لا تدين إلا أصحابها، لكن المتطرفين وبالتعاون مع إعلام منحاز ومضلل يستثمرون في مثل هذه الجرائم للدعوة إلى حرب شاملة ضد الإسلام والمسلمين، وهو خطاب لا يختلف كثيراً عن ما كتبه يوحنا الدمشقي في القرن السابع، وكرره غيره من المسيحيين على مدى قرون عديدة متبنين نظريته بشكل أكثر تطرفاً وعنصرية.

تتجسد هذه النزعة المعادية للإسلام في خطاب اليمينيين المتطرفين، الذين لا يتوانون في استغلال فزاعة الخطر الإسلامي لتسويق برامج سياسية واقتصادية فاشلة أصلاً، يبقى حزب مارين لوبان Marine Le Pen «الجبهة الوطنية» في فرنسا أكبر دليل على ما أقول، إذ لا يخفى على أحد ما يقوم به هذا الحزب من اقتناص للفرص من أجل رفع وعائه الانتخابي، وكيف اقترب من الفوز بالانتخابات الجهوية للسنة الماضية، بفضل استثماره في آلام الفرنسيين وحالة الغضب التي أحدثتها هجمات باريس الأخيرة.

فبداية بالبناء العنصري لمفهوم الإسلاموفوبيا والذي بينا كيف أنه لا يمكن أن يصف ما يتعرض له المسلمون من عنف وعدوانية وكراهية، إلى التاريخ العنصري الذي شحنت وتشحن به المسيحية علاقاتها المتوترة مع المسلمين، إلى انعدام الموضوعية في طرح الإسلاموفوبيا كعلاقة بين المسلمين والغربيين، إلى الدور المشبوه الذي تلعبه الآلة الإعلامية الغربية يبقى مفهوم الإسلاموفوبيا غير قادر على التعبير عن حالة العداء التي تواجه المسلمين في الغرب وحتى في بلدانهم، وبناء على ما سبق أعتقد أنه من الضروري أن يتوقف المسلمون عن استخدام مفهوم الإسلاموفوبيا بشكله الحالي، وتعيوضه بمفهوم آخر هو معاداة الإسلام Antislam، وهنا يجب التأكيد

وقال الجنابي إن استعمال المصطلح في الإنجليزية والعربية ظهر في قرن واحد وهو القرن العشرين، لكن المصطلح مستعمل في الإنجليزية أوائل القرن، واستعماله في العربية في نهاية القرن، وكلا الاستعمالين يندرج تحت الخطاب الإيديولوجي، والراديكالي من الأحزاب اليمينية والعنصرية، مشيراً لتباين المنطلق في استخدام هذا المصطلح، فغريباً كان هجومياً، وعريبياً كان دفاعياً، بمعنى أن منطلقه الغربي كان عدائياً أو خذيرياً، بينما كان استخدامه العربي نفيّاً لهذه التهمة ومحاولة إثبات عكسها.

وذكر الجنابي أن (إسلاموفوبيا) ليس لها مقابل في الخطاب الإسلامي تجاه الأديان الأخرى، فليس هناك مصطلح مستعمل لـ(يهودوفوبيا)، ولا لـ(مسيحوفوبيا)، سواء كان الخطاب الإسلامي معتدلاً أو متشددًا، فالخوف من طرف واحد، وهو الجانب الغربي، في حين أن معه القوة المادية، و«الانتصارات» العسكرية على «الإرهاب» في بلاد المسلمين، موضحاً أن إشكالية المصطلح من جانب آخر تتشكل من حيث ربط الخوف بالإسلام وليس بالمسلمين، فلم يقولوا: (مسلموفوبيا)، مع أن استعماله إن وجد لكان أدقاً؛ لأنه سيحدد الخوف من جماعة مسلمة ما مسلحة أو غير مسلحة، وليس من كل المسلمين سواء المتعايشين معهم في الغرب أو الذين ليست لديهم كراهية لهم ولا عدائية في بلاد العرب والمسلمين.

وخلص الجنابي إلى أن ظاهرة (الإسلاموفوبيا) تحولت من حالة مَرَضِيَّة نفسية إلى حالة ممارسات قولية وفعالية فردية وجماعية بهذا الاسم وبغيره، وبردة فعل وبغيرها، وإلى انتهاك لحقوق الإنسان العربي المسلم في الغرب وفي بلاده ووطنه الأم، وهي في تزايد من خلال استطلاعات الرأي العام، الأمر الذي يستوجب دراستها وبحثها من جديد وبتضافر تخصصات عدة وتجارب متنوعة لعلاج هذا المرض الاجتماعي.

قال الدكتور طيبي غماري، عميد كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة معسكر، الجمهورية الجزائرية إن ظاهرة الإسلاموفوبيا أصبحت في العشرين سنة الماضية ثقافة تميز الجماعات الدينية المتطرفة المعادية للإسلام، ومن ثم فهي مسألة مرتبطة بشكل وثيق بالتمييز العنصري، وليس مجرد إحياء للحروب الصليبية ضد الجهاد، بل إنها شكل حديث للعنصرية المعادية للإسلام، وهو الأمر الذي يجعل منها قضية حقوق إنسان، أي إنها تستدعي جنيداً دولياً ومؤسسياً على أعلى مستوى، بل إن ما لا يمكن إخفاؤه اليوم هو أن الإسلاموفوبيا والكراهية للمسلمين، تحولت خلال العشرية الأخيرة إلى سياسة دولة في أوروبا والولايات المتحدة.

الإسلاموفوبيا هي نتيجة فكر عنصري ومتطرف يريد إقصاء الآخر، عادة ما يتم استغلالها من قبل بعض الوصوليين لتحقيق أهداف سياسية شخصية، فالكراهية التي تؤدي إلى

الشنقيطي أن الوثائق الأمريكية القديمة تؤكد على أن النظرة كانت سلبية في الماضي تجاه المسلمين. مشيراً إلى أن الغرب القديم نظر إلى العالم الإسلامي باعتباره استبدادياً ومناهضاً للمسيحية. علاوة على عشقه للقتل والتدمير وسفك الدماء. وأضاف بأن الرؤية الغربية تجاه الأوطان والسكان المسلمين كانت هي الأخرى سيئة. وهذه الصورة النمطية كانت سائدة في غالبية المجتمعات الغربية. والدليل على ذلك وجود مؤلفات وكتب عديدة تصف هذه الصورة بأبشع الصفات. منوهاً إلى أنه رغم هذا الوضع القائم كانت هناك بعض الاستثناءات التي أنصفت المسلمين والإسلام ولكنها ظلت قليلة ومتوارية قياساً بشيوع الصورة السلبية وانتشارها.

وأشار إلى أن هناك مدارس ما زالت تعمل حتى الآن على تثبيت هذه الصورة السلبية تجاه الإسلام والمسلمين. غير أن هناك محاولات قوية ومدارس مضادة صححت هذا الوضع ومنهم على سبيل المثال إدوارد سعيد. وجاك شاهين. وتيموثي مار. وريتشارد باركر. وإيفون حداد. وكثيرون غيرهم.

وأكد الشنقيطي أنه يمكن تقديم العديد من التوصيات للتغلب على تلك الظاهرة. منها الدراسة المعمقة لتاريخ وثقافة الولايات المتحدة. وبناء مراكز أبحاث ودراسات تشرح الإسلام والمسلمين في الغرب. فضلاً عن الاستثمار في مجال الإعلام الغربي والسعي لتصحيح الصورة السلبية للمسلمين من خلاله.

من جانبه. أكد الباحث السوداني د. محمد خليفة صديق أستاذ العلوم السياسية بجامعة إفريقيا العالمية بالخرطوم في ورقته: مصادر التنظير للإسلاموفوبيا من أربان الثاني إلى بامبلا اندرسون. أن ظاهرة الرهاب من الإسلام صارت من الظواهر التي تسود بين جميع مستويات الحياة وصنوف البشر في الغرب عموماً. وأمريكا على وجه الخصوص: فمشاعر الإسلاموفوبيا جلية في قطاعات عديدة من المجتمع الأمريكي. تغذيها الوسائط الإعلامية. ومراكز الأبحاث ومن يوصفون بالخبراء. والأكاديميون. والباحثون. وجماعات الضغط بتنوع مشاربيها ومطامعها. وتنظيمات النشاط في شتى المجالات.

وأضاف خليفة أن مشاعر الإسلاموفوبيا أو بعض مظاهرها على الأقل تنتشر بين معظم الغربيين مثلاً من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار. ومن المتدينين إلى الملحدين. حيث يعتقد كل من يسيطر عليهم هوس الإسلاموفوبيا أن كل مسلم حقير أحمق. وإرهابي مخرب: فالإسلاموفوبيا خوف وعداء مبالغ فيهما لا يتوقفان فقط عند مستوى الشعور أو الفكر. بل يتخطيانه إلى مستوى العمل من خلال الحض على - أو المشاركة في - تهميش المسلمين والإسلام كجماعة ودين من الحياة العامة في الغرب على مستويات مختلفة وتشويه صورتهم. بمشاركة كتاب وسياسيين وإعلاميين وكتب وسياسات ومظاهرات

على أن تجاوز مفهوم الإسلاموفوبيا يعني بكل وضوح التوقف عن استخدامه رسمياً وإعلامياً وعلمياً لتوصيف حالات الاعتداء المختلفة الأشكال التي يتعرض لها المسلمون في الغرب بسبب تدينهم أو الشك في تدينهم الإسلامي. أما من الناحية البحثية فيمكن أن يبقى المفهوم مادة للدراسة والتحليل قصد فهم منحى تغير العقلية العنصرية الغربية المسيحية تجاه الإسلام والمسلمين.

أما عن آليات التجاوز فيمكن الاعتماد على المراكز البحثية ومراكز الدراسات. كمنتدى العلاقات العربية والدولية. الذي يمكنه تبني الفكرة من خلال تحسيس مصادر القرار الرسمية ووسائل الإعلام العربية والإسلامية قصد تجاوز المفهوم الحالي وتغييره بالمفهوم المقترح. كما يمكن للمنتدى أن يتحرك في اتجاه شركائه الدوليين من أجل الضغط في اتجاه تغيير هذا المفهوم على المستوى الدولي.

فيما تناول دكتور العلوم السياسية والعلاقات الدولية في جامعة جيجل الجزائرية عبد الرفيق كرشوط محاضرة حمل عنوان «الإسلاموفوبيا والمسلموفوبيا: اختلاف المضامين وتقاطع النتائج» حيث أكد أن ظاهرة الإسلاموفوبيا تغطي حيزاً واضحاً في مجازبات العلاقات بين الغرب بصفة عامة والمسلمين. وسواء كان ذلك على المستوى الرسمي أو المستوى الجماهيري. حتى أصبح العداء للإسلام والعداء للمسلمين أو العنصرية ضد المسلمين من أجديات العلاقات التي تحكم التفاعلات الروتينية أو الديناميكية بين الغرب والمسلمين.

وقال: واقع الحال يشير إلى وجود تباين لا نمطي بين ما يمثله الإسلام كدين وعقيدة وفلسفة حياة وبين ما يدينه ويعتقده منتسبو الإسلام. الأمر الذي جعل الخوف من الإسلام يأخذ شكلين قد يختلفان من حيث المضامين الحياتية والفلسفية والوجودية والعقائدية. ولكنهما يتطابقان من حيث النتائج التعميمية التي توصف وتلصق بمفهوم الرهاب من الإسلام بمفهوم الرهاب من المسلمين (الإسلاموفوبيا - المسلموفوبيا). كما قدم الأستاذ سعيد أحمد خان ورقة بعنوان «الهجرة والهلع الأخلاقي: منطلق جديد للدراسات المقارنة للإسلاموفوبيا في الولايات المتحدة وأوروبا».

تاريخ ظاهرة العداء والخوف من الإسلام في الغرب

الجلسة الثانية لمؤتمر رهاب الإسلام «الإسلاموفوبيا» كانت حول تاريخ ظاهرة العداء والخوف من الإسلام في الغرب. في بداية الجلسة قدم د. محمد المختار الشنقيطي. أستاذ مشارك للأخلاق السياسية بمركز التشريع الإسلامي والأخلاق بجامعة حمد بن خليفة في قطر. ورقة بحثية تناولت تطور صورة المسلمين في العقل الأمريكي من كولومبوس إلى وقتنا الحالي. وأكد

وحركات جماهيرية وغيرها.

وأوضح أن هوس «الإسلاموفوبيا» سيطر على عدد من الرؤساء الأمريكيين. وعلى رأسهم الرئيس «بوش» الابن وإدارته. وعمد الديمقراطيون والليبراليون إلى نشر التنميطات، التي تستدعي لا عقلانية العرب والمسلمين. وعداؤهم للحدث، من أجل تبرير دعمهم لهيمنة الولايات المتحدة، الاقتصادية والسياسية. وواصل الإعلام في نصرة هذا التيار السائد الأمريكي. وبات الجميع لا يفهم مقاومة العرب لأعمال عنف الصهاينة، والجرائم السياسية الأمريكية في المنطقة. سوى على أنها برهان على تخلف العرب والمسلمين.

ودعا خليفة في ورقته منتدى العلاقات العربية والدولية لإنشاء مرصد بحثي يقوم برصد الإساءات ضد الإسلام والمسلمين في كل الدول والمنصات الإعلامية. ويبحث في أطراف الإساءة وسياقها. ويحلل المعطيات ويتواصل مع الجاليات المسلمة في الخارج والمؤسسات الإسلامية المعتبرة في الداخل. لتقديم أفضل السبل المطروحة للرد على الإساءة وردّها والاستفادة منها في تحسين صورة الإسلام والمسلمين.

وظالبت الورقة بالنسعي لمساعدة الجاليات الإسلامية في الغرب على التعاطي مع الأزمات بحكمة وعقلانية. بما يحقق صالح الإسلام والمسلمين. وإنتاج خطاب إعلامي يخدم مصالح المسلمين في العالم بكل اللغات الحية، يدفع نحو مساندةهم على المستويين الرسمي والشعبي لدى الغرب. والسعي بكل السبل المتاحة لمساعدة الغرب وأمريكا على أن يكونوا أكثر مرونة وأماناً من خلال موافاة عامة الناس هناك بمعرفة واقعية عن هذا الدين الإسلامي. بدلا من بث الرعب بتوقع هجمات من وحي الخيال والاستسلام لفوبيا لا وجود لها على الأرض.

فيما قال الباحث المغربي يونس الخليلي إن ظاهرة الإسلاموفوبيا في الغرب هي الصيرورة الحتمية لتاريخ أوروبا الضارب في جذور الاحتياط من الإسلام وتصوره على شكل عدو يهدد كيان أوروبا وقيمها وحضارتها. وأوضح أن مقولة الفوبيا ظهرت في الوعي الأوروبي عبر تراكم الخوف الثقافي والعسكري والاجتماعي والحضاري من الإسلام والذي يمثّل في الدولة بمواطنيها ومؤسساتها.

وأضاف بأن هناك أنواعاً من الفوبيا منها الثقافية، والعسكرية، والاجتماعية. منوها إلى أن الدولة الحديثة أصبحت تتصور علاقتها بالإسلام علاقة جدل حيث إن وجود الآخر مرهون بإعدام الأنا والعكس. وبدأت تكرر العداء في صفوف أفرادها للإسلام أو بدأ الكلي ينعش الجزئي بقيمه للحفاظ على ذاته لأن الكلي هو مجموع الجزئي.

وقال إن مقولة الفوبيا تناسلت في الوعي الأوروبي عبر تراكم الخوف الثقافي والعسكري والاجتماعي= الحضاري من الإسلام والذي يمثّل في الدولة بمواطنيها ومؤسساتها. حيث فكك

البحث الفوبيا الأوروبية بما هي فوبيا الحضارة إلى :

1- الفوبيا الثقافية :

بنيت الدولة الحديثة عبر تراكمات تاريخية أفرزت دولة قومية منغلقة على أيديولوجيا محددة تمثل العقل الغربي خلال تطوره والذي لم ينفك عن الأنا أفكر كشعور ذاتي ليرتقي هذا الجزئي إلى الكلي مع هيغل حيث نظر للديالكتيك كفكرة مجردة وكروح تتموضع في الإنسان الذي فجره على المستوى السياسي في «أصول فلسفة الحق». وعبر فيه عن ارتقاء الوعي الجزئي الذاتي في الأنا الفرد والأنا أفكر إلى الوعي الكلي في الدولة القومية التي صارت النحن الكلية التي تجسدها الدولة وهي حائزة الفكر والثقافة والتدليل. فصارت الدولة الحديثة أو الأنا/ النحن الكلي الواعي المسيطر الذي يخفي أساساً قومية يخاف من كل ما شكل الماضي. حيث غابت الدولة الحديثة فيه. وهو الإسلام. فإذا كانت الدولة الحديثة قد قامت على أنقاضه فلا جرم ربطت وجودها كأنا كلية ودولة حديثة بدوام إعدام ما قامت على أنقاضه.

هنا صارت الدولة تتصور علاقتها بالإسلام علاقة جدل السلب. إذ وجود الآخر مرهون بإعدام الأنا والعكس. وبذلك كانت مأسسة على هذه الأسس الميتافيزيقية. وبدأت تكرر العداء في صفوف أفرادها للإسلام أو بدأ الكلي ينعش الجزئي بقيمه للحفاظ على ذاته لأن الكلي هو مجموع الجزئي. بذلك بدأت المواطنة ذات النتائج للدولة القطرية لا تجد مسامحة في امتزاج المواطن مع المسلم في مركب أقوى. إذ المواطن هو الذي تجاوز المسلم الذي يمثل عنصر سلب الدولة الحديثة. والجدل الديالكتيكي الذي يعد أحد أسس الدولة لم يطرد في تركيب الإسلام والمواطنة كنعقذين -حسب افتراض عقل الدولة المعنوي- لتشكيل مركب أوعى وأشمل. بل هرعت لمحاولة إقصاء مفهوم المسلم ليس لمبرر عقلاني لإفوبيا عاطفية بالأساس. من هنا نختلف مع حلاق في تحديده لأسس الدولة في خمس كلها عقلانية بتسجيل أساس عاطفي لها يتمثل في فوبيا الفناء أو العودة إلى لا-دولة الحداثة. أو الخوف من جدل السلب والمتناغم مع الارتكاس الديني والاجتماعي والثقافي والفكري. ثم ينتقل البحث لتحليل الحداثة وعدائها للإسلام والتي لهج بلسانها أرستو رينان في تصريحات تدم الإسلام مفجرة عقدة «الفوبيا الثقافية». والتي خفت مع هيغل في رسالته «المحمدية» رغم وصفه للمسلمين الأوائل بعدم تسامحهم وعنهم. ويشير إلى أطروحة هنتنغتون «صدام الحضارات» والتي تصب في هذا الصدد كذلك. كما يبرهن على إخلاص المفكرين الغربيين لأصولهم الدينية هيغل وغادامير وديريدا نموذجاً مما يعني أنها فوبيا إسلامية وليست خوفاً مسنوده الإلحاد الذي يترهب من الأديان عموماً.

٢- الفوبيا العسكرية

يشير البحث إلى أن كما أن العقيدة العسكرية العثمانية التي سهرت على فتح الأمصار بشكل لا يوازيه في القوة فتح العقول بالدعوة والتبليغ للإسلام... ساهم في توسيع الفجوة بين الإسلام والغرب . ويسر على السلطة الكنسية تدويخ شعوبها بظلامية الإسلام وبعنفه. وتسويغ نموذج ذلك في الأتراك المسلمين العدو التاريخي للأوروبيين.

٣- الفوبيا الاجتماعية

بذلك ندرك تراكم الفوبيا في جميع مراحل بناء الوعي الأوروبي والذهن الغربي. وظل هذا الذهن يشد العقل الأوروبي عنده ويؤثر فيه توتراً في كل علاقة مع الشرق عموماً ومع الإسلام على الأخص فأنتج مجتمعاً مترهب من الإسلام وهو ما نعانیه اليوم. مراحل هذا العقل الأوروبي كانت من العقل الطبيعي فاللاهوتي فالحدائي فالأداتي فالمرقمين . وهذا المنقذ من القارئ النموذجي إلى المثالي فالعبر فالبدع والذي يتفاعل ثم يتواصل . يمكن تصنيف الإنسان التواصل الحداثي بأنه يتواصل بمفاهيم تنشرها تقنيات الاتصال الحديثة . ليس لتبادل الثقافات وتفهمها والوعي الحضاري بما عند الآخر بما هو آخر في مفاهيمه وتشكلاته الثقافية والمعرفية ورؤيته للذات والعالم والآخر. بل هو تواصل بمادة واحدة والتي توعده بعولمتها وكوكبتها بالإضافة إلى تحقق شرطها الابسيستيمي وهو تظليلها ببرديغم واحد تهدف لتعميم العقل الحداثي في نسخته الأورو-الأمريكية بما هو عقل قومي في صيغة كونية ومسوغات عالمية أي صار يعيش الحداثة الفائقة وإنسناها هو الإنسان الأثري الرقمي الذي يعتمد ككائن توصلي على الإعلام الذي يهدف إلى إعادة تجربة الاستشراق الناجحة من قبل في صرف الأوروبيين عن الإسلام عبر الكذب عليه. والآن في صورة استشراق جديد أخذ منحى جديداً يتجسد في الإعلام المصور للمسلمين كإرهابيين. ثم يختم البحث بطرح حل في ضرورة طرد العملية النقدية في العقل الأوروبي المتعالي- بذاته على العالم المتخلف الطبيعي الذي يجب السيطرة عليه- لهذا العقل. وجعل النقد يتجذر في الأسس المتأوية لهذا العقل حتى يخرج عن البراديفم التاريخي المهمش للأخضر عبر نقد تقنيات الذات ومقارنتها بتقنيات الذات عند المسلمين ونزع الوساطة الإعلامية والتي ليست بأمنية.

فيما عرض الباحث في قسم الأديان الكسندر عباسي «جذور الإسلاموفوبيا العنصرية : مواجهة إسبانيا للمغاربة الجدد» . أما الناشط الأرجنتيني في مجال حوار الأديان وتقاربها لوكاس أورهيرشتاين فقدم بحثاً بعنوان «تفكيك الإسلاموفوبيا: منظور فلسفي يهودي» . أما السيد يونس الخمليشي المتخصص في الفلسفة العلمية من المغرب. فطرح موضوع

الأصول المعنوية للإسلاموفوبيا .

مغذيات وأسباب الإسلاموفوبيا:

الجلسة الثالثة حملت عنوان «مغذيات وأسباب» وتناولت المحاضرة الأولى فيها موضوع «الإسلاموفوبيا والتحدي للتنوع الثقافي في أوروبا» قدمها د. داوود عبد الله مدير مركز مراقبة الشرق الأوسط في لندن. فيما قدم الباحث فريد حافظ من أستراليا محاضرة بعنوان «من معاداة السامية إلى الإسلاموفوبيا : التحول الاستراتيجي لليمين المتطرف الأوروبي» . أما الباحث عبد الباسط غابري الأستاذ المساعد في مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان -جامعة الزيتونة-تونس. فكان بحثه بعنوان: أثر الصورة النمطية للإسلام في تشكيل الرهاب الغربي. فقال إن الموقف الغربي من الإسلام لم يكن مجرد اختراع لخطر جديد يحل محل الخطر الشيوعي الأقل. وإنما نتاج لدينامية تاريخية وعمليات تلاعب عقلي ونفسي. ومنظومة معرفية متكاملة تعيد إنتاج الأنساق الاجتماعية والقيمية بما يتلاءم مع احتياجاتها وتوازنها. مشيراً إلى أن البحث في مسألة الصورة النمطية يشكل مدخلا أساسياً لتفكيك تلك المنظومة الذهنية والنفسية وتحليلها واستكناه مختلف العوامل المتحركة في الخيال الفردي ووعيه. فالثقافة الغربية تخزن صورة «مقتنة» عن الإسلام. ولم تكن مجرد انطباعات وآراء من اليسير تفنيدها لاصطباغها بنزعة عقلانية كانت تهدف إلى ترسيخ تلك الصورة بصفاتها صورة حقيقية ثابتة لا سبيل إلى مراجعتها.

وقال غابري إن ورقته تسعى إلى البحث في آليات تشكيل صورة الإسلام النمطية ومضامينها في الغرب انطلاقاً من تحليل مختلف المؤثرات الميتية (الأسطورية) واللاهوتية (الدينية) والعقلانية التي تعاضدت في صياغتها. من خلال مؤلفين بارزين هما: كتاب «أزمة الإسلام» للمستشرق الأمريكي البريطاني برنارد لويس. وكتاب «الإسلام والمسيحية» للمستشرق الروسي اليكسي جورافسكي. مشيراً إلى أن اختيار الكتابين لم يكن اعتباطياً. وإنما احتكنا فيه إلى خصوصية الإشكالية المطروحة التي تتصل بتقاطع الأيديولوجي والمعرفي في صياغة صورة نمطية عن الإسلام أفضت إلى إشاعة الرهاب والإسلاموفوبيا.

وخلص غابري إلى أن موقف برنارد لويس متأسس بالغضب الإسلامي أو الإرهاب الإسلامي هو نزعة أيديولوجية يتنهد عدم التمييز بين مستويات الدين والتدين أو الإسلام الرسالة والإسلام التاريخ. على الرغم من أنه من الناحية النظرية كان واعياً بقيمة ذلك التمييز بصفته مؤرخاً رأسماله معرفة تاريخية تقوم على النسبية. ومن النتائج التي أفضى إليها ذلك الالتباس عدم دقة النتائج المستخلصة لا سيما إقراره

الضماني بأن الإرهاب نتيجة منتظرة من ثقافة عربيّة إسلاميّة مأزومة بسبب تراثها الذي لم يعقلن فأضحى منبعاً للحضّ على القتل والفتك والتدمير للآخر المخالف دون أن يكلف نفسه عناء البحث في العوامل الموقظة لتلك النصوص التراثية في هذه الحقبة التاريخية بالذات. على الرغم من أنها ظلّت قابعة في المصادر التراثية منذ مئات السنين.

ورأت الورقة أن موقف المستشرق الروسي أليكسي جورافسكي الذي بحث في جذور تشكّل صورة الإسلام النمطية بالغرب خلص إلى أنّ المترجمين الأوائل في الحضارة الإسلامية كانوا مسيحيين. والآداب البيزنطية خاصّة لعبت دوراً خطيراً في ترسيخ تلك الصورة أخطر حتى بما تسببت به الحروب الصليبية التي كانت في حقيقتها من نتائج تلك الانطباعات الخاطئة والأحكام المسبقة. كما أن حركة الاستشراق الحديثة عمقت ذلك النهج وعززته في إطار تلامز ثنائية المعرفة والسلطة.

وختمت أشغال اليوم الأول بورقة للباحثة عزة بصار الدين قدمت خلالها موضوع «الجندر والإسلاموفوبيا ومواجهة التطرف العنيف في لوس أنجلوس».

وطرح الدكتور عارف العبيد أستاذ مادة جيوبوليتيكية الشرق الأوسط في الأكاديمية العسكرية اليونانية موضوعاً يحمل عنوان «الإسلاموفوبيا في المجتمع اليوناني: الأبعاد والتحديات وأساليب مواجهتها» حيث رأى أن الإسلاموفوبيا تنتشر في المجتمع اليوناني المعاصر. وكأنها وباء يصل إلى حد التهديد القومي لوجود هذا المجتمع. كما يتم وصف الحركات الدينية في العالم العربي على أنها حركات متطرفة. فيتم إخفاء دورها التحرري من قوى الاحتلال الخارجي للمناطق العربية. مثل الحركة السنوسية ضد الطليان. والمهدية ضد الإنجليز. هذه الأبعاد الخطيرة وصلت إلى حد الشك في كل لاجئ والنظر إليه على أنه متطرف أو متشدد يهوى القتل وتهديد حياة المواطن اليوناني. من خلال الإخلال بالأمن العام وضرب استقرار البلد. حيث تعتبر اليونان بلداً عماده الاقتصادي الرئيسي هو السياحة. وأي عنف أو ضربة إرهابية ستشكل تهديداً للاقتصاد القومي.

وكشفت الورقة أن التاريخ السياسي اليوناني الحديث. والذي يدرّس كمنهاج تربوي وطني في المدارس والجامعات الحكومية. يتطرق بشكل مستمر إلى فترة الوجود العثماني في اليونان والتي تجاوزت في بعض المناطق الـ ٤٠٠ عام. حيث يتم وصف هذا الوجود بأنه كان احتلالاً دينياً إسلامياً لبلد مسيحي اسمه اليونان ذات المبدأ الأرثوذكسي. مشيراً إلى أن اليونان بدأ يتأثر بكل ما يجري على الساحة الأوروبية وحتى الأميركية. وخصوصاً تلك المسائل المتعلقة بالإسلام والمسلمين. حيث عجل تحرير وسائل الإعلام بتضخيم الإسلاموفوبيا وانتشارها بشكل أسرع في المجتمع اليوناني.

وأبانت الورقة أنه بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١. بدأ المجتمع اليوناني يهاب من كل ما هو مسلم. كما أصبح الإرهاب البيولوجي والكيميائي هاجساً يومياً أيضاً. وعزز ظهور التنظيمات المتشددة باسم الإسلام مثل داعش. من ظاهرة الإسلاموفوبيا. كما كشفت ضربات باريس وغيرها عن أن مخاوف المجتمع اليوناني هي مخاوف حقيقية وليست مجرد قلق فقط. وقالت الورقة: «منذ ذلك الحين. بدأت وسائل الإعلام اليونانية في التركيز بشكل مستمر على نقاط معينة. من أجل غسل دماغ الشريحة الأكبر من الشعب اليوناني. وجعلها تنفر من الديانة الإسلامية. دون إعطاء أي فرصة لمعرفة مبادئ وأركان هذا الدين الحنيف. فيما يخص المسائل الاجتماعية والتعاون بين البشر».

ولفتت الورقة لعدم وجود أي مركز للدراسات الإسلامية في الجامعات اليونانية حتى هذه اللحظة. بالإضافة إلى الغياب الملحوظ للمختصين الأكاديميين في مجال الدراسات الإسلامية. وعلى الرغم من ذلك. تقوم بعض الجامعات اليونانية بمنح درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية أو الإسلام السياسي. بإشراف أكاديميين من أصحاب الدراسات الاقتصادية والسياسية والجيوبوليتيكية والتجارية والنقل البحري. بدون أن يتمتع هؤلاء بأية إمكانيات أو مؤهلات ذات صلة بالدراسات الإسلامية. الأمر الذي يعتبر عقبة في طريق أي تحسن في عملية كشف الحقائق. أو تحليل كل شيء عن الإسلام بنظرة علمية دقيقة. تساعد الطلبة الجدد على فهم القيم والأخلاق والمبادئ الإسلامية.

وبينت الورقة أن هناك أيضاً قوى خارجية استطاعت أن تؤثر بشكل كبير على مراكز اتخاذ القرار في الدولة اليونانية. مستخدمة عدداً من الصحفيين والسياسيين والأكاديميين لخدمة مصالحها. والتي عادة ما تكون مضادة لكل ما هو إسلامي. ولو كان ذا طابع استثماري. هذا بالإضافة إلى أن ظاهرة الإسلاموفوبيا تستخدم كحصان طروادة من قبل الحزب النازي اليوناني المسمى بالفجر الذهبي. وذلك من أجل رفع نسبة ناخبيه. والحصول على مقاعد برلمانية إضافية للاقترب من كرسي السلطة. أو على الأقل تسلم قيادة أحزاب المعارضة في البرلمان.

وكشفت الورقة أن غياب طبقة عربية إسلامية مثقفة ومتعلمة عن الساحة. شكّل دوراً في إعطاء الكارهين للإسلام فرصة أكبر لتحقيق ما يصبون إليه. كما أن هناك ظاهرة الطقوس الدينية الإسلامية الخاصة بالمذهب الشيعي. والتي بدأت بالانتشار في بعض مناطق العاصمة اليونانية. مثل ظاهرة اللطم. وما لها من آثار على الشعب اليوناني. وما تعطيه من انطباعات للمشاهد. عند رؤيته للدماء التي تسيل من المشاركين في تلك الطقوس. وبدون أن يفهم ما هو التبرير

المنطقي لذلك التصرف.

أما الأستاذة ليندا هيوكي تناولت موضوع مستقبلات الإسلاموفوبيا في فنلندا تلاها السفير المفوض لدولة البوسنة والهرسك لدى دولة الكويت سعادة السيد ياسين رواشدة حيث قدم «الإسلاموفوبيا في البلقان: جذور عميقة».

الجلسة الثانية نماذج معاصرة حيث تناول المتدخلون الإسلاموفوبيا في ألبانيا والصين والهند وسويسرا.

أما الجلسة الثالثة فحملت عنوان «دور الإعلام» ثم تقديم بعض تقارير الصحف والمخرجات العلمية قدمها الأستاذ محمد هارون أما الباحثة فيفيانا بريمازي فقدت مداخلة بعنوان «بين وسائل الإعلام الوطنية والبعث المحلي: المسلمون والإسلاموفوبيا في إيطاليا» أما المحاضر دانيلا كوبيك قدم مداخلة تحمل عنوان «مرحبا باللاجئين أم لا؟ مشاعر العداء للمسلمين والعرب في وسائل إعلام ألمانيا بعد اعتداءات كولونيا» يذكر أن النظرة النمطية للإسلام والتي رُوّجت لها وسائل إعلام مختلفة من خلال مقابلات تلفزيونية ومقالات ومؤتمرات لا تشارك فيها أصوات معتدلة، هذا إلى جانب رسومات وأفلام تسيء لرموز المسلمين؛ ساعدت في صياغة ثقافة من الكراهية المتبادلة، التي يحرص صانعوها على تأكيدها. وقد رافقت الأزمة الاقتصادية والمنافسة على العمل؛ استتارة المشاعر الدينية واستدعاء أحداث التاريخ منذ الحروب الصليبية إلى زمن الاستعمار ثم صدامات الحاضر لتكون وقودا في مواجهات مستمرة على أصدعة عديدة وقد ساعد كل هذا على صياغة وتنفيذ سياسات ومواقف عملية إقصائية أو عنيفة أساسها الخوف من المجهول القادم.

«الإسلاموفوبيا: نماذج معاصرة»:

شهد اليوم الثاني من المؤتمر العديد من المداخلات والجلسات تمحور موضوعها حول «الإسلاموفوبيا: نماذج معاصرة» حيث قدم لؤي المدهون، وهو إعلامي وأكاديمي عربي يعمل محاضرا في العلوم السياسية والإسلامية في جامعة كولونيا الألمانية، ومدير موقع قنطرة للحوار مع العالم الإسلامي ورقة عمل تحمل عنوان «مسؤولية المؤسسات الإعلامية في ألمانيا في مواجهة شيوع الإسلاموفوبيا وتوظيفها سياسيا من قبل حركة بيغيدا وحزب البديل من أجل ألمانيا» حيث قال إن الانعطافة الإنسانية في سياسة المستشار الألمانية ميركل وقرارها التاريخي في شهر سبتمبر ٢٠١٥ بفتح حدود ألمانيا وإنقاذ حياة مئات آلاف اللاجئين أدت إلى تغيير نوعي في المزاج الشعبي تجاه المسلمين، خاصة بعد وصول أكثر من نصف مليون لاجئ مسلم من سوريا والعراق وأفغانستان إلى ألمانيا وازدياد ادعاءات «أسلمة المجتمع الألماني».

وأشارت الورقة للتحوّل السلبي في تغطية الإعلام الألماني

والذي يعود بالدرجة الأولى إلى تبني وسائل الإعلام الجماهيرية، خاصة الخاصة منها، خطاباً خريزياً ابتعد بشكل كبير عن المهنية وأخلاقيات العمل الصحفي وسأهم في «شيطنة» المسلمين وتكريس الصورة النمطية المشوهة عن الإسلام وعوالمه، مع تنامي تأثير حركة بيغيدا العنصرية المعادية للأجانب وواقع مجتمع الهجرة الألماني بصورة عامة، والإسلام بصورة خاصة، حيث تم وضع الديمقراطية الألمانية أمام اختبار صعب، خاصة بعد تحقيق حزب «البديل من أجل ألمانيا»، القريب أيدولوجيا من بيغيدا، مكاسب كبيرة في انتخابات ثلاث ولايات ألمانية في منتصف مارس ٢٠١٦، إذ صار على السياسيين الألمان الاعتراف بأن معاداة الإسلام باتت شكلاً من أشكال العنصرية، حيث يُحول الخطاب الإعلامي المسلمين الألمان إلى كبش فداء ويُحمّلون مسؤولية كل مشاكل البلاد.

تطرقت الورقة بشكل مفصل إلى سبل مواجهة التوظيف السياسي للمخاوف اللاعقلانية من المسلمين من قبل حركة بيغيدا وحزب «البديل من أجل ألمانيا» اليميني الشعبوي والمعادي للتعددية الدينية والثقافية في المجتمع الألماني، وقدمت توصيات عملية نابعة من خبرة كاتب الورقة في العمل مع الإعلام الألماني وتجربته في الإعلام كمدبر لموقع قنطرة للحوار مع العالم الإسلامي، الذي يعد موقعاً لدعم التواصل بين ألمانيا والعالم الإسلامي، وذلك لتأطير الإعلاميين والإعلاميات وتطوير معايير إعلامية تتعامل مع حقوق الأقليات بشكل مستنير ومنفتح وتساهم في الابتعاد عن عقلية الاستقصاء.

أما الباحثة مريم حمدون مدرسة وباحثة سابقة في جامعة انتويرب في بلجيكا فتطرقت «إلى تحديات تواجه المسلمين في بلجيكا». أما الأستاذة ليندا هيوكي من معهد خالف الحضارات في إسطنبول فتناولت موضوع «مستقبلات الإسلاموفوبيا في فنلندا»، وطرح من جانبه سعادة السيد ياسين رواشدة السفير المفوض لجمهورية البوسنة والهرسك لدى دولة الكويت والذي عمل بالمؤسسات الأكاديمية والإعلامية والسياسية سابقا موضوع «الإسلاموفوبيا في البلقان: جذور عميقة».

كما قدم بعض الباحثين والأستاذة نماذج معاصرة، حيث قدم المتدخلون الإسلاموفوبيا في ألبانيا والصين والهند وسويسرا. وفي هذا الإطار قدم الباحث الأستر ديفيسيون مدير برنامج في مؤسسة قرطبة في جنيف محاضرة حول «تخفيف حدة التوترات عبر الوساطة: وعبر مبادرات تم استخلاصها بعد الرسوم الكاريكاتيرية الدائرية والتصويت السويسري ضد بناء المساجد». في حين قدم عضو أكاديمية العلوم الكوسوفية وأستاذ الحضارة في جامعة عمان مداخلة تمحورت أساسا حول «الإسلاموفوبيا في مجتمع أوروبي بغالبية مسلمة خصوصية الإسلاموفوبيا الألبانية».

أما الأستاذة بمرکز علم الأعراق البشرية التابع لجامعة

شانشي بجمهورية الصين الشعبية ماتشانغ مضان فتطرق إلى موضوع «أقلية الوسطاء وإسهامها في القضاء على الإسلاموفوبيا: الدور الاجتماعي لمسلمي الـ «هيو» وتجربتهم في الصين». فيما طرح الكاتب والناشط في كشمير الأستاذ مشتاق الحق أحمد «الإسلاموفوبيا في الهند».

أما جلسة المؤتمر الثالثة والأخيرة فكانت بعنوان «دور الإعلام» وتم خلالها تقديم بعض تقارير الصحف والإعلام حيث قدم د.مسعود عالم الفلاحى رئيس قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة خواجه معين الدين . لكناؤ- الهند. ورقة حملت عنوان الإعلام الغربي سبب رئيس في خلق مصطلح الإسلاموفوبيا. حيث أكد أن الإسلام و المسلمين اليوم يتعرضون لهجمة إعلامية غريبة ظالمة شرسة تستهدف تشويه صورتهم في أعين الغرب وإنكار قيم الإسلام النبيلة وتعاليمه السامية. متناسية ذلك التاريخ الإسلامي النبيل القائم على مبادئ التسامح والوفاء والاحترام والإغضاء؛ ما جعل العالم الغربي يتكدر صفوه باسم الإسلام والمسلمين. ويخاف من حضارتهم وثقافتهم ورقبهم مخافته من الأسد؛ بل أكثر من هذا.

فقد اتفقت معظم الدراسات على أن الإسلام كان ولا يزال أكثر الأديان تعرضاً للإساءة ولم يلق دين من الأديان من التشويه والعداء الإعلامي مثل ما لقيه الدين الإسلامي. فالإسلام كما يصوره الإعلام الغربي لا يعدو مجرد إرث منحط لا عقلاني خال من أي قيمة إبداعية. يكبل أتباعه بمجموعة من الموروثات اللاعقلانية ويحول بينهم وبين اندماجهم في ثقافة الغرب الوحيدة القادرة على إخراجهم من خلفهم وإدخالهم في مجرى سيرورة التقدم. كما يصفه بأنه دين عنف وقوة وبدائي وشهواني وأنه ضد القيم الغربية وأنه يمثل العدو الذي حل محل الشيوعية وأنه يساند الإرهاب ولا يعترف بالتعايش السلمي وهو دين الكراهية والتعصب والجهاد واضطهاد المرأة. وقالت الورقة إن الناظر في تاريخ الحروب الصهيونية وامتداداتها التاريخية وأثارها على النصارى ليعلم جيداً أن عداء الغرب للإسلام وكراهيته مركز في طبيعة الغرب إلا قليلاً؛ وذلك بحكم الأوضاع الخاصة التي يعيشها الإنسان الغربي وبحكم الثقافات التي يتربى عليها. وبحكم العادة التي اعتادها منذ حداثة السن إلى نهاية الحياة. ثم بحكم وسائل الإعلام التي ما تركت فرصة من فرص تشويه صورة الإسلام وسمعة المسلمين والانقضاض عليهم إلا اغتنمتها ووظفت كل مجهوداتها في سبيلها.

وقالت الورقة إن حملات التشويه وغرس الكراهية للإسلام لم تعد قاصرة على وسائل الإعلام فحسب؛ وإنما امتدت لتشمل كبار السياسيين الذين باتوا يغذون وسائل الإعلام بالتصريحات والمواقف المعادية للإسلام والمسلمين. فكان الرئيس الأمريكي

السابق جورج بوش الابن والرئيس أوباما صرحا في عدة تصريحات بأن حربهم هي حرب على الإسلام وأنهم يحولان دون قيام إمبراطورية إسلامية فاشية. وفي هذه الأيام ملاً الرجل المترشح للرئاسة الأمريكية دونالدو ترمب الجو الأمريكي توترا وعداء للإسلام والمسلمين. فهو ينوي طرد المسلمين من الولايات المتحدة الأمريكية وما إليها من التصريحات الاستفزازية. مما يؤكد على أن مثل هذه المقولات البغيضة هي نتاج ثقافة راسخة وصورة ذهنية تعادي الإسلام وخض على كراهية المسلمين. كما أصبح كبار رجال الدين المسيحي يتعرضون للدين الإسلامي وعقائد المسلمين بالطعن السافر. كما فعل بابا الفاتيكان بنديكت عندما ردد مقولة الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني أن محمداً لم يأت إلا بكل ما هو سيئ وشراً وغير إنساني بسبب حظه على نشر الإسلام بالعنف وبعيد السيف.

بعد ذلك تم التطرق إلى المخرجات العلمية لموضوع الإسلاموفوبيا من خلال محاضرة ألقاها الأستاذ محمد هارون أستاذ مشارك في قسم الدراسات الدينية في جامعة بوتسوانا في جنوب إفريقيا. أما الباحثة في المنتدى الأوروبي لأبحاث الهجرة فيفينا برمازي فقدت مداخلة بعنوان «بين وسائل الإعلام الوطنية والبعث المحلي: المسلمون والإسلاموفوبيا في إيطاليا».

أما المحاضر في قسم دراسة الأديان في جامعة هايدلبرغ بألمانيا دانيا كوبيك فتطرق إلى موضوع اللاجئين من خلال مداخلة كان عنوانها «مرحبا باللاجئين أم لا؟ مشاعر العداء للمسلمين والعرب في وسائل إعلام ألمانيا بعد اعتداءات كولونيا».

ختام المؤتمر:

وقد دعا المشاركون في مؤتمر (رهاب الإسلام «الإسلاموفوبيا») الغرب إلى التحزب من المفهوم الضيق الذي يعادي الإسلام من خلال حملات التحيز والعداء للمسلمين والإسلام. مُحذرين من أنّ هذا التحيز الغربي والعداء المستمر لن يخدم الأمن والسلام العالمي بل يؤجج الإرهاب والصراع.

وأكدوا أن الإعلام الغربي سبب رئيسي في تنامي ظاهرة العداء للإسلام والمسلمين من خلال ما يبثه من حملات كراهية ومعلومات مغلوطة ومضللة.

يذكر أن منتدى العلاقات العربية والدولية هو مركز للأبحاث والدراسات تأسس عام ٢٠١١ للإسهام في دعم التنمية الثقافية والسياسية وتعزيز آليات الحوار بين الأطراف السياسية والفكرية المختلفة.

ولتحقيق أهدافه المنشودة يستضيف المنتدى الباحثين والمفكرين والأكاديميين من المنطقة العربية والعالم. ويقدم أعمالهم للناس عبر مؤتمرات وندوات وعبر نشر أبحاثهم وإصدار كتبهم.

جهود الملك عبد العزيز

في تيسير الحج بشهادة الرحالة المغاربة

الزبير مهداد - المغرب

الحج مسؤولية جسيمة

كان الملك عبدالعزيز يستشعر ثقل المسؤولية الملقاة على عاتق المملكة التي أسسها باعتبارها حاضنة للحرمين الشريفين. ووفاء بواجبه نحو الإسلام والمسلمين. لم يأل الملك جهداً في سبيل خدمة ضيوف الرحمن والعناية بشؤون الحج والحجاج. وبذل الوسع لراحتهم. هذه الجهود كانت بادية للعيان. وشهدت تطوراً هاماً متسارعاً وشاملاً لكل جوانب الحج. بدءاً من العناية بالحرم المكي ومرافقه ومشاعره. وكذا العناية بشؤون الحجاج الذين يفدون إليها من كل حدب وصوب. وتوفير أفضل الخدمات لهم لضمان أمنهم وراحتهم وسلامتهم.

العناية بالحرم المكي

الجعدي الذي حج في فجر الدولة الوليدة. لم يغفل الإشادة بعمل كسوتها الذي أحدثت بأجساد. في حين أن الرهوني أسهب في معالجة الموضوع. فتحدث عن تاريخ الكسوة الشريفة التي كانت تصنع في مصر. (ولم تزل كسوة الكعبة تأتي من مصر.. إلى أن وقعت الواقعة المشهورة عام ١٣٤٥هـ (١٩٢٦م) بين المصريين وجنود جلاله السلطان مولاي عبدالعزيز السعودي. فانقطعت تلك الكسوة). ونوه بالقرار الحكيم للملك عبدالعزيز بإنشاء معمل الكسوة في البلد الحرام. (وصار يعملها جلاله السلطان مولاي عبدالعزيز من خزنته. وأسس لها معملاً جليلاً بمكة المكرمة في هذا العام ١٣٥٥هـ الذي حججنا فيه). رفضاً لكل توظيف سياسي للعملية.

يعتبر الملك عبدالعزيز المؤسس الفعلي للمملكة العربية السعودية. وكان له تأثير كبير على بلده وعلى كل المنطقة. وقد أسهمت الرحلات الحجية في التعريف بهذا الملك وبالدولة السعودية الجديدة. ورصدت التحول الاجتماعي والسياسي والاقتصادي الذي تم في ظل حكمه. وهذا المقال يحاول استقراء رحلات أربعة كتاب مغاربة. زاروا المملكة في عهد الملك عبدالعزيز ودونوا ملاحظاتهم ومشاهداتهم. وهم:

١. إدريس بن محمد الجعدي. قاض. رحل إلى الحجاز عام ١٣٤٨هـ ١٩٣٠م. نشر مذكرات رحلته في حلقات بجريدة السعادة:

٢. محمد بن أحمد الهواري. رئيس تحرير جريدة (السعادة). رحل إلى الحجاز سنة ١٣٥٢هـ ١٩٣٤م ألف (دليل الحج والسياحة):

٣. أحمد الرهوني التطواني. عالم. قاض ووزير عدل خلال الاستعمار. رحل إلى الحجاز عام ١٩٣٧. نشرت رحلته في تطوان:

٤. محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي. فقيه. عالم إصلاحى ووزير. حج عام ١٩٤٦. خلف تقريراً مخطوطاً حول رحلته: القاسم المشترك بين هؤلاء الرحالة. هو درجتهم العلمية العالية. وتوليهم مناصب المسؤولية العلمية والإدارية والقضائية في بلدهم. وتوثيقهم لرحلاتهم منها ما نشر في كتاب. أو في الصحف. حرصاً منهم على تقاسم المعرفة وتنوير الرأي العام بمشاهداتهم بالمملكة العربية السعودية في فجر نهضتها بقيادة الملك عبدالعزيز.



الملك عبد العزيز

أول ساعة إلى الحجاز: (والآن بالمسجد ساعة ترى حركاتها من مكان بعيد. ويسمع صوت دقاتها كذلك. وهي مضبوطة موضوعة في برج فوق دار الحكومة. تشرف على المسجد الحرام وعلى جميع مكة. وهي من مآثر جلالة الملك مولاي عبدالعزيز بن سعود. وضعها عام ١٣٥٣ هـ. وهي أول ساعة بالحجاز. فجزاه الله خير الجزاء) (١٠١).

أما بخصوص الصفا والمروة. فالهوارى أبدى تبرمه من حال المسعى. فالمسلك صعب. ولا تزال السوق على جانبيه. وكان الحجاج دائما يرفعون عقيرتهم بالشكوى من هذه السوق. وبعد ثلاث سنوات من ذلك. أشاد الهوارى بالإصلاح الذي شهدته المسعى في عهد الملك عبدالعزيز. الذي أمر بتظليله وترصيفه. وفي عام ١٣٥٦ بلغ إلى علمه أنه سيبلط تيسيرا لسعي الحجاج (١٠٤).

ولما حل الجعيدي بعرفات. لم يخف إعجابه بحسن التنظيم المتمثل في جرتة فضاء الوقوف. حيث تحدد أماكن نصب الخيام وممرات الحجاج ومسالكهم. ما سهل لكل مطوف لإقامة خيام لحجابه حتى يمكن لهؤلاء أن يستدلوا على محلاتهم ولا يتيهوا عنها). أما الحجوي رجل الدولة والمفكر الإصلاحى. فقد اقترح

وبرهنة على قوة المملكة على حداثة عهدها. وأهليتها لتدبير شؤون الحج والحجاج.

كما سجل الهوارى أن المسجد الحرام شملته عدة إصلاحات وترميمات. وأهم ما استلقت نظره هو عملية الإنارة الشاملة التي همت المسجد. (أمر جلالته بإبلاغ اللمبات ألفا موزعة على المطاف وبقية المسجد الحرام. وأضاف إلى ذلك فنارات (مصابيح) اللوكس زيادة في الإنارة. وفي عام ١٣٥٩ هـ كما أمر بزيادة مكينة أخرى وبإحداث عدة قناديل كهربائية. وفي سنة ١٣٥٣ هـ أهدى الحاج محمد خان الهندي لمكة مكينة كبيرة قوتها ٣٤ كيلووات وزيدت أضواء ومصابيح وثريرات) (١٠٣). وكان من نتائج ذلك أن (صار ليل المسجد الحرام نهارا) حسب ارتسام الحاج.

وذكر الهوارى أن الملك عبدالعزيز أمر بأن تنصب في بعض جهات الحرم. خيام قائمة على أعمدة من الخشب لتظليل المصلين من الشمس عندما يضيق النطاق بهم في الأروقة (١٤٥).

أما بئر زمزم التي تقع في الحرم المكي وتعتبر من عناصره. وتحتل مكانة هامة في وجدان المسلمين عامة. ذكر الهوارى أن أعداد الحجاج الكبيرة ترتوي من بئر زمزم الذي لا يكفي الخلائق. لافتنا النظر إلى أهمية الصهاريج الاحتياطية بمكة. كصهريج قايتباي وعين زبيدة التي تدعم ماء زمزم وتلبي حاجة الحجاج إلى هذه المادة الحيوية. يقول الهوارى: (وبما أن مسألة الماء في أيام الحج هي في طبيعة المسائل التي عولجت في عهد الحكومة العربية السعودية. بعد أن كان يصيب الحجاج منها في الأعوام الماضية كثير من النكبات. فنرى من اللائق أن نعرض هنا على ذكر ما قامت به إدارة عين زبيدة من التدابير الفعالة في هذا السبيل. لتأمين راحة الحجاج الوافدين إلى بيت الله الحرام) وحدث الشيخ الهوارى عن تلك الجهود التي بذلت من أجل توفير المياه للحجاج رغم الصعوبات والمعوقات (١٣٤).

أما القاضي الهوارى فقد سجل في رحلته أن الملك عبدالعزيز (أحدث سبيلين ملازمين لمقصورة بئر زمزم. وجدد سبيلا آخر. وكتب عليه اسمه. جزاه الله خير الجزاء) (١٠٠).

كما يسجل الهوارى أن الملك عبدالعزيز يحوز فضل إدخال

توسعة ذكية جدا للحرم، فأكد أن العدد الغفير من الحجاج الوافدين كل سنة يستلزم توسيعا للحرم المكي بعدما أضحى بيوت الساكنين تلتصق بالمسجد الحرام، وأصبح المسعى يضيق بكثرة المساكن والمتاجر على جانبيه. لذلك أضحى لزاما التفكير في توسيع الحرم المكي. التوسعة التي اقترحها الحجوي تقتضي هدم المباني الحاذية للحرم، ونقل السكان والدكاكين بعيدا عنه، وإعادة تهيئة الحرم المكي وتأهيل أرضيته ومرافقه، وتبليط مسالكه وتبليط المطاف بدل الحصياء بمواد تريح الحجاج، وتيسر المشي للطواف أو الجلوس في الصلاة أو في حلقات العلم، وتبليط المسعى وضمه إلى الحرم، وهدم ما أقيم حوله من دكاكين ونقلها إلى سوق يقام خارج المسعى، (وتصير أرض المسعى على اتساعها مزبدة في أرض المسجد من جملة، للجماعة والجمعة وإلقاء دروس العلم)، ونفقات ذلك يجب أن تتقاسمها الدول المسلمة، فتساهم بخمس ريع أوقافها خلال سنة واحدة، وإذا لم تف المساهمات بالغرض يفتح حينئذ باب الاكتتاب (٩٤)، هذه الأمنية التي سييسر الله تحقيقها بعيد الرحلة بسنوات قليلة، ضمن توسعة الحرم المكي في عهد الملك سعود بن عبدالعزيز رحمهما الله.

الأمن

استأثر موضوع الأمن باهتمام الرحالة، فهو مرآة تعكس الرعاية التي توليها المملكة للحجاج، وإن ما كان يعانيه الحجاج خلال سفرهم نتيجة غياب الأمن كان سببا كافيا لإحجام الكثير من المسلمين عن الرحلة، التي كانت بمثابة مغامرة غير مأمونة.

عام ١٩٣٠ ذكر الجعدي أن شارع المسعى كان يضم ثكنة للشرطة، أما الهواري فقد كان شاهدا على خطاب الملك عبدالعزيز الذي تطرق فيه إلى موضوع الأمن مبرزا أهميته بالنسبة للحجاج، مقارنة بين عهده والعهد السابقة (قال الملك عبدالعزيز: لقد حكمت هذه البلاد حكومات قوية، ولكنها لم تقدر على تأمين الطريق، أما اليوم فالأمن سائد في طول البلاد وعرضها، قد لمستموه بأيديكم، وهذا من فضل ربي علينا). وذكر الهواري أنه زار إدارة الشرطة، فاطلع بنفسه على ما تقوم به تلك الإدارة من نشاط وسهر على راحة الحجاج، والمحافظة على أمتعتهم وأمنهم (١٣٦).

وكذلك الحجوي، فإن أول ما أشاد به بخصوص المملكة هو استتباب الأمن، (فأما الأمن، ففي جميع ملكته، بصرامته التي لا تقبل شفاعاة ولا تعرف محسوبية، وبالجملة، أهم ما تراه في الحجاج انتشار الأمن بسبب ضبط الأحكام وصرامتها المهولة) (٧٩)، مذكرا بما كان يعانيه الحجاج في العهود السابقة، بسبب غياب الأمن وضعف الدولة المركزية، ما شجع قطاع

الطرق ورجال العصابات على التعسف على الحجاج ونهبهم، ودون كثير من الرحالة في كتبهم الصور المرعبة لظاهرة قطاع الطرق بمسالك الحجاج في أرض الحجاز بين جدة ومكة والمدينة وغيرها.. (فإن الحجاج كان في أيام الترك والحسينيين وكَرَّ السُّرَّاقِ والنُّهَّابِ وقَطَّاعِ الطريقِ، وبوجود ابن سعود، أطال الله عمره، أباد هذا النوع من البشر الذي كان ضد الحجاج وضد البشرية: فأقام الحدود الشرعية بقطع يد كل سارق كيفما كان. وما قطع منها إلا نحو العشرة، فلم يبق منهم واحد. وقتل قطاع الطرق واللصوص حتى لم يبق منهم واحد، فأمنت البلاد وأقبلوا على التجارة والاكتساب) (٧٨). فمن رأي الحجوي أن انضباط المواطنين وخضوعهم للقانون واحترامهم له يدل على تحضرهم وعلى قوة الدولة ومؤسساتها، ونفاذ تشريعاتها وقوانينها.

الطرق

حلول الحجاج بمدخل المملكة وتوجههم إلى الحرمين، يؤدي في الغالب إلى اختناقات مرورية، أما إذا كانت أحوال الطرق رديئة، فإنها تضاعف عذاب الحجاج، فالطرق الجيدة الواسعة تريح السالك فيها وتسهم في حل مشكلة الاختناق المروري وتوفير خدمات النقل والباصات السريعة، لذلك تكتسي الطرق الرابطة بين المدن والمسالك والشوارع الداخلية في المدن أهمية كبرى للحج.

الجعدي الذي حل بالسعودية عام ١٩٣٠ أول ما استلقت نظره عند الحلول بجدة، هو عملية ترصيف الطرق وتعبيدها التي كانت شرعت فيها الحكومة، كما نوه بخطط العناية بطرق وشوارع مكة المكرمة التي أنشئت على النمط الحديث، المتميز بالتصميم الهندسي الجيد والسعة والمتانة، وفي منى أيضا ذكر الجعدي أنها تخترقها أربعة شوارع، اثنان قديمان، واثنان أنشئا في بحر عام ١٩٣٠، لفك الاكتظاظ الذي كان يعانيه سالكو الشوارع الأولين، وشوارع منى (كلها كهربائية، وكذلك الطريق التي بينها وبين مكة، والمج الذي تربط منى بعرفة كله مشاعيل للضوء الحجري ومنازل عديدة).

غير أن الحاج الرهوني خص الطريق بين مكة والمدينة بعنايته، مؤكدا أنها كانت تستدعي إصلاحا عاجلا لتلبية لرغبة كل الحجاج الذين كانوا يعانون كثيرا خلال رحلتهم بين المدينتين، وسرعان ما حققت هذه الأمنية، بفضل عناية الملك عبدالعزيز الذي كان مدركا كل الإدراك أهمية هذه الطريق، وانطلقت الدراسات الفنية التمهيدية لتحقيق هذا المشروع، وبلغ لعالم الفقيه الرهوني وهو بمكة (أن بنك مصر وجه المهندسين لتصميم الطريق بين مكة والمدينة، وأنهم قدروا لها ثلاثمائة ألف وستين ألف ليرة مصرية، وأنهم عازمون على الاتفاق مع جلالة الملك على تعبيدها، يسر الله ذلك في أقرب



الحج وخدمة ضيوف الرحمن. من خلال مشاريع التطوير والتوسعات التي لم تتوقف طيلة العقود الماضية. فالْحجَّاجُ الذين قصدوا المملكة كانوا يلاحظون كل عام جديداً وتميزاً في الخدمات المقدمة للحجاج. فالجهود الضخمة التي بذلتها المملكة السعودية لراحة وخدمة ضيوف الرحمن كان لها دور مهم في تيسير أداء الحجاج مناسكهم وفي جو إيماني روحاني مبهر. ولعل الفضل في ذلك يحوزه الملك عبدالعزيز آل سعود لما كان يتحلى به من خصال وصفات أهلته ليكون شخصية قيادية فذة متعددة المواهب. بفضل حنكته وحزمه وحسن تدبيره. توفرت للحجاج كل الشروط والظروف اللازمة لحج آمن ومبرور وسعي مشكور. في أحضان المملكة التي يرأسها ملك حمّل عن جدارة ومسؤولية السهر على راحة الحجاج وأمنهم وسلامتهم. ومسؤولية وضع مداميك دولة قوية وعصرية تحتل مكانتها التي تليق بها بين الدول الكبرى.

المراجع

- الحجوي. محمد بن الحسن: رحلة حجازية. تحقيق عبد الكريم خيالي. مركز التراث الثقافي المغربي (الدار البيضاء) دار ابن حزم (بيروت) ٢٠١٠
- التازي. عبد الهادي: رحلة الرحلات. مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة. مكة. مؤسسة الفرقان. ٢٠٠٥
- الرهوني. أحمد: الرحلة المكية. تطوان. معهد الجنرال فرانكو. مطبعة الأحرار. ١٩٤١م
- الهواري. محمد بن أحمد: دليل الحج والسياحة. الرباط. المطبعة الرسمية. ١٩٣٥
- الجعيدي. أنظر: <http://rihlarom.blogspot.com/2014/03/1930.html>
- وأيضاً: <http://www.almasalik.com/locationPassage.do?locationId=31208&languageId=ar&passageId=13854>

وقت. وهياً أسباب الراحة كلها لحجاج بيت الله الحرام. وربما إلى عرفة). وبالفعل. ما إن عاد الرهوني إلى المغرب حتى بلغه (بطريق يقين أنهم شرعوا هذا العام في تعبيد طريق جدة إلى مكة. وأنها في الموسم القادم عام ١٣٥٦هـ تكون تامة إن شاء الله. جزى الله المحسنين خيراً) (١٦٢).

الرحالة الحجوي أيضاً لم يفته الحديث عن أهمية الإجازات التي تحققت في عهد الملك عبدالعزيز في المجال الطريقي ومنها طريق جدة مكة (طريق صناعية طولها نحو سبعين كيلومتراً. مزفتة تزفيتاً حسناً متقناً. مما يسرّ قطع المسافة في فترة محدودة من الزمن) (٧٦).

النظافة وصحة الحجاج

نظافة الحرم كانت مثار قلق الحجاج. لأن اجتماعهم. وتقديم الهدى ونحر الأضاحي وأمور المعاش اليومي. وغير ذلك من الأنشطة تخلف أوساخاً وفضلات تلوث المجال. وتتسبب في إيذاء الحجاج وانتشار الأمراض والأوبئة بينهم. وما كان يبعث على سرور الحجاج في عهد الملك عبدالعزيز أن النظافة كانت شاملة لكل مرافق الحرم. بل إن كل شوارع مكة الفسيحة أصبحت تتميز بنظافتها. وهو ما شهد به الحاج الجعيدي بقوله: (بلدية مكة اهتمت بتوسيع شوارع المدينة وتنظيفها طبق النظام الحديث).

وكذلك العلامة الحجوي. بدوره عبر عن إعجابه بالاعتناء الشديد بالنظافة. فمع أن الحجيج قد فاق المائتين والخمسين ألفاً (ومع ذلك. ما كنا نرى في المسجد الحرام ... شيئاً من فضلات هذا العدد ولا بالطرق المتصلة به ولا بأبعد منه. لا في ليل ولا في نهار. كأن الجبان ينقل فضلاتهم..). (٧٨).

أما الخدمات الصحية لفائدة الحجاج فكانت بارزة للعيان. ونتائجها بدت واضحة في محاربة الأوبئة والتقليص من عدد الوفيات. والإدارات الصحية أقيمت في كل المناطق التي يستوطنها الحجاج. خاصة في منى يشهد الجعيدي بوجود (إدارة للصحة تلاحظ الشؤون الصحية أيام الحج. وتقوم بما يحتاج إليه مرضى الحجاج من علاج ودواء).

القاضي الرهوني وخلال استقباله من طرف الأمير فيصل أثنى الأمير على سلامة الحجاج (إن من فضل الله أن هذا العام خرج سالماً. حيث أنه حج فيه ما يزيد على مئتي ألف حاج. ومع ذلك لم يمّت في أيام الحج كلها إلا نحو عشرة أشخاص. ماتوا موتاً طبيعياً) فأجابه الرهوني بأن الفضل يرجع إلى التدابير التي اتخذها سمو الأمير (١٣٠).

خاتمة واستنتاج

لم تتوان المملكة منذ تأسيسها عن تسخير كل إمكانياتها وطاقاتها البشرية والمادية من أجل تيسير أعمال



الحج ودوره في جمع الكلمة ووحدة الصف الإسلامي

محمد سكال

باحث برابطة العالم الإسلامي

وبسبب الحج الذي شرعه الله تعالى لهذا البيت وافترضه على الناس. وما أجاب به دعوات الخليل عليه السلام، لجيرانه من ساكني أم القرى باستتباب الأمن وجلب الأرزاق، وجعل الناس يترددون عليهم حاجين ومعتمرين وجاراً. تمددت شرايين الحياة في جنبات مكة، فقطنتها الناس من العرب وضربوا في جنباتها بجرانهم، وأنسوا بأجنادها وأغوارها وهامت بحبها القلوب، فتحولت إلى مدينة معمورة منذ ذلك العهد إلى اليوم؛ أي منذ نحو خمسة آلاف من السنين.

ذلكم البيت الذي بارك الله فيه، وجعله علماً حسياً مشخفاً، يرمز إلى وحدانية الله تعالى ووحدة الدين الذي بعث به رسوله: ((إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ)) [آل عمران/٩٦].

وفي قوله تعالى: ((جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ)) [المائدة/٩٧] تنويه بشأن هذا البيت، وأنه سبب لانتعاش أهله القاطنين حوله، في أمر دينهم ودنياهم، وتحصيل أغراضهم ومقاصدهم في معاشهم ومعادهم، بسبب تردد الناس إلى هذا الهيكل المقدس، حاجين ومعتمرين وجاراً.

وزاد الله في بركة هذا البيت بأن جعله سبباً لأمن أهله، وتعلق أفئدة الناس به، التي تهوي إليه وتتردد عليه سرمداً بلا انقطاع: ((وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا)) [البقرة/١٢٥].

وفرض الله تعالى على من يملك استطاعة جسيمية ومالية، تمكنه من بلوغ بيته الحرام، أن يحججه: ((وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)) [آل عمران/٩٧]. وهذه الفريضة التي لا تكرر في العمر، هي الركن الموفي

تبدأ قصة الكعبة البيت الحرام، بذلك العهد الذي عهد به رب العزة عز وجل إلى خليله أبي الأنبياء إبراهيم، عليه صلاة الله وسلامه، أن يبني هذا البيت المقدس على أكمة ببطن واد بكة، فبناه هو وإسماعيل ابنه الأبر المفضى الذي أتى به مع أمه غصاً رضيعاً، واستوطن لهما ذلك الوادي وهو يومئذ قفر لا ضرع فيه ولا زرع، فلما تم بناء البيت عهد إليه عهداً آخر أن يؤذن في الناس بحججه، على ما علمه من كيفية ذلك التأذين، وبشهره بأن يُقر عينه بأمر ستلبي نداءه، آمين البيت الحرام راكبين وراجلين: ((وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ)) [الحج/٢٧].

ولم يصل إلينا شيء ثابت في صيغة ذلك النداء الرباني الكريم، لعدم تكرره وعدم تعلق المقصود به بل بنتيجته وهي الاستجابة التي خلدت صيغتها بدخولها في المناسك القولية، وهي: «لبيك اللهم لبيك...»، فهي الشعار الذي يلهج به الحاج والمعتمر، جاعلاً إياه هجيراً من لدن إحرامه إلى أن يصل إلى البيت في العمرة، وإلى أن يرمي الجمرة يوم النحر في الحج، فقد روى الترمذي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل: أي الحج أفضل؟ فقال: «العج والتج»، والعج كناية عن رفع الصوت بالتلبية، والتج كناية عن إراقة دماء الهدايا والأضاحي، ولا شك أن المراد بذلك الإكثار من التلبية؛ للعلم بأنها تحصل من كل حاج في حدها الأدنى وذلك عند الإحرام، فلا يحصل الفضل في حج على حج إلا بكثرتها في الأول مع كثرة الهدى؛ لأن ما سواهما من المناسك كلها محدود، لا يقبل زيادة ولا تكراراً، كالسعي والرمي.

الخبر تضافر على روايته ابن عباس وابن عمر وأبو بكره نفيح بن الحارث رضي الله عنهم. وحذر من التهاون بتلك الجريمة والاستخفاف بشأنها. وأنه يفضي بهم شيئاً فشيئاً إلى خسارة مكاسب الإسلام العظيمة في تحقيق التألف على راية واحدة.

والعودة إلى ما كانوا عليه في الجاهلية من التهاجر؛ فقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في آخر الحديث السابق: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض».

ولو تأمل أحدنا ذلك الجمع الذي توجه إليه النبي صلى الله عليه وسلم، بهذه التحذيرات الدالة على شدة تخوفه عليهم من بعده، وتفكر في حالهم وهم في ذلك المشهد الجلل بالإخبات لربهم في محيط بيته المحرم، بقيادة نبيه المصطفى المكرم، وفرحة التمكين وظهور الدين تغمر قلوبهم، وتهتف بها ألسنتهم، وقد رأوا أنفسهم آمنين مطمئنين يملكون زمام السيادة، قد أجز الله لنبيه ما وعده من الفتح والنصر، لو تأمل أحدنا ذلك المشهد لربما بدا له أنهم في غاية الأمان والنجوة من أن تعود عداوة الجاهلية إليهم، بعد أن هبت عليهم نسائم الأخوة، وسرت بينهم روح المودة والرحمة والألفة التي أنعم الله بها عليهم: (وَأذْكُرُوا اللَّهَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا) [آل عمران/ 103].

فهل كانوا بحاجة إلى تأكيد حقوق رابطة الدين وحرمتها، والتحذير من مغبة سئل سيوف بعضهم على بعض، وقد تمكن الإيمان من قلوبهم، وتفيئوا ظلال الإسلام الوارفة، الذي به أمن بعضهم بعضاً، وذهبت عنهم عبية الجاهلية، واستراحوا من الحروب التي أنهكتهم في أيام الجاهلية الغابرة المدبرة؟

والذي يظهر لدى التفكير في سبب تأكيد حقوق الرابطة الإسلامية والتحذير من الانقلاب عليها، يلاحظ أن حول الناس من الجاهلية إلى الإسلام، كان أمراً سهلاً في ذاته، لهشاشة الوثنية فهي مبنية على الخرافة والتقاليد، فلم تصمد أمام دلائل التوحيد وقوة توافقه مع العقل والفطرة، لكن كان يمنع الناس من المسارعة إلى الدخول في الدين، تمكن العادات الجاهلية من نفوسهم، وخوف بعضهم على فقد المكانة التي يحظون بها بين أقوامهم.

وأما الأمر الصعب الذي دلت تعثرات الأمة في ماضيها

خمسة أركان الإسلام، كما ثبت في حديث جبريل عليه السلام: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله... وتوحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً»، وحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله... وحج البيت...».

ولما كان الحج يتوقف على جشم سفر، ومكابدة رحلة قد تكون طويلة في مداها، اعتاد الناس أن يتوافدوا إلى مكة في قوافل لكي تتراقد وتتأنس وتتعاقد في دفع أي عدوان محتمل، وكانت قبائل العرب في أيام الجاهلية يقيمون بمناسبة الحج موسماً ثقافياً جاريًا حافلاً، يتمثل في أسواق لهم يقيمونها في عكاظ ومجنة وذو الحجاز، ثم يجتمعون جميعاً في مكة لأداء المناسك التي أحدثوا فيها بعض الأمور التي ما أنزل الله بها من سلطان، كالأصنام التي نصبوها حول الكعبة وعلى الصفا والمروة، والتجرد من الثياب لدى الطواف، وإضافة بعض الكلمات الشركية في التلبية.

ولما جاء الإسلام ظل الأمر على ذلك في ظل السيادة القرشية على مكة، إلى أن فتحت وصارت إمارة الحج بيد المسلمين، حج بالناس أبو بكر رضي الله عنه في السنة التاسعة، وروى البخاري ومسلم أنه بعث أبا هريرة في رهط من الناس، يؤذنون في الناس في منى يوم النحر: أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان.

فأول حج كان خالصاً للمسلمين ليس معهم أحد من المشركين، واختفت فيه شعارات الجاهلية ومآثر الوثنية، والبعد التي اختلقها الناس بأهوائهم وصبغوها بصيغة المناسك، هو تلك الحجة التاريخية الفريدة التي تمت في صحبة الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم، في آخر حياته، ومن ثم سميت حجة الوداع. وقد بين للناس فيها المناسك الشرعية الإسلامية بأقواله وأفعاله في حله وترحاله، وأفتاهم فيما كان يعرض لهم من إشكالات ونوازل يسألونه عنها، وأرشدتهم في خطبتيه اللتين ألقاهما في صعيد عرفات ووادي منى في أوسط أيام النحر، إلى أهم ما ينبغي أن يحرسوا عليه للمحافظة على السلم الاجتماعي والاستقرار السياسي في سياح الدين الذي أنعم الله به عليهم، وهو تأكيد حرمة دماء بعضهم على بعض، وكذا أعراضهم وأموالهم، قال عليه الصلاة والسلام: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم، حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا». وهذا

أو لهم مراكز قيادية في بلدانهم، أو مسؤوليات في شعوبهم. يجتمع هؤلاء كلهم في مكة المكرمة لميقات موسم معلوم لأداء الحج فرضاً أو تطوعاً. في أجواء رائقة من الأمن والسكينة وجودة التنظيم والخدمات المختلفة. ويتم الحج بصورته البهيجنة وأجوائه الإيمانية الغامرة. وأصدائه الإعلامية الواسعة، المترددة في أرجاء العالم الإسلامي بأسره. إنه بهذه الصورة ومشاهدها المختلفة، يعبر عن قوة الرابطة التي تربط المسلم بالمسلم، وتؤلف بين أفراد الأمة كياناً متحداً بإخاد النبي الذي تتبعه، والكتاب الذي تتلقى منه، والقبلة التي تستقبلها في صلاتها، والبيت الذي تحجه، وأنهم بصورتهم الموحدة هذه التي تظهر بجلاء في الحج، بحاجة إلى أن يحققوها في الواقع ويعملوا لها بكل جهودهم.

فالحج فرصة ثمينة ومناسبة دينية عظيمة، تتوفر للمسلمين في كل عام، حري بهم أن يغتنمونها في تحقيق كثير من المصالح لكيانهم الجماعي، والتخلص من كثير من المشكلات والشور، كتطرح الخصومات وتسوية الخلافات، وعرض مبادرات للمصالحة بين فئات متنازعة، وإطلاق دعوات للتضامن والتعاون الإسلامي في مختلف المجالات، وتدارس القضايا ذات الأهمية البارزة التي تعلق الأمة بعامّة أو بعض فئاتها، والتعاهد على نيل العنف والأساليب العدائية في التعاطي مع المشكلات البينية، وخرى الأساليب السلمية الودية، ولغة الحوار، والاحتكام إلى الشرع الحنيف والعقل الحصيف.

والتعاهد على النصح للأمة، والعمل على استتباب الأمن والاستقرار والوحدة الوطنية في أوطانها، ومواجهة كل من يريد أن يعيث بذلك من الداخل أو الخارج، والتصدي لمحاولات التدخل في شؤونها والإيقاع بين دولها أو شعوبها ومختلف فئاتها، بإثارة النزعات الطائفية البغيضة، أو العرقية المنبوذة التي أبدل الإسلام بها أخوة الإسلام ورابطة الدين: ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)) [الحجرات/10]، وفي حديث رواه أحمد عن أبي نضرة العبدي بإسناد صحيح: «يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتنقي». وفي حديث آخر رواه مسلم عن أبي هريرة: «من قاتل حَتَّ رَايَةَ عُمَيَّةٍ، يَغْضَبُ لِعَصْبَةِ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصْبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصْبَةً، فَقَتَلَ قَتْلَةً جَاهِلِيَّةً».

وحاضرهما، على أنه بحاجة إلى تركيز في الاهتمام والعناية، فهو التماسك الجماعي للمسلمين، وحفظ الوحدة الدينية والسياسية بينهم.

فما أكثر ما تستبد الأهواء بالنفوس، فتشقق عصا الجماعة، وتخلع من عنقها ربة السمع والطاعة، وتنسلق في مسالك تهدد وحدة المسلمين، وتحدث الاضطراب في صفوفهم، والفتنة بينهم، وتدعو الناس إلى منابذة أئمتهم وولاة أمورهم، ويزين الشيطان لهم تلك الأهواء الغاوية، فيلبسوها لبوس التجرد لنصرة الدين، والغيرة على محارم الله وحدوده، والحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجتثاث الظلم والفساد من المجتمع، إلى غير ذلك من الدعاوى التي يبديها أصحابها في سعيهم لاستحلال حرمان المسلمين، وسلل السيوف عليهم.

وهذا هو السبب الذي لأجله ركز النبي صلى الله في خطبه في حجة الوداع، على أمر حرمان المسلمين، التي بتعظيمها في النفوس والتصدي لمن يتساهل في انتهاكها أو الاستخفاف بها، حفظ جماعة المسلمين، وتصلح أحوالهم، وتبذل الطاعة لأئمتهم، ويستتب الأمن والاستقرار في أوطانهم، وتفتح سبل التعاون بينهم في مختلف شؤون الدين والدنيا، ويهاجم عدوهم، وتنسد الثغرات أمام محاولات تسلله إليهم، وتدخله في شؤونهم، وإثارة نزعات العدا بينهم.

ومنذ استتب الأمر للملك عبد العزيز - رحمه الله - في توحيد أجزاء الجزيرة تحت راية المملكة العربية السعودية، بعد كفاح طويل، والبيت العتيق وحرمة المسجد الحرام، مصون عامر بالطائفين والعاكفين والركع السجود، وقد كانت السبل قبل ذلك غير آمنة من الأعراب الذين كانوا يترصدون الحجاج في عصابات من اللصوص وقطاع الطرق، وكانت الخدمة للحرمين الشريفين غير متوفرة بالشكل المريح.

وبعد الإنجازات الكبيرة التي تمت في توسعة الحرمين الشريفين، في العهد السعودي، وفي ظل سهر المملكة على توفير الأمن والخدمة لهما ولقاصديهما، بصورة راقية، أصبح يتوافد على بيت الله الحرام، ملايين الحجاج في كل عام، أمّيته من مختلف الدول الإسلامية ومجتمعات الأقليات والجاليات المسلمة المنتشرة في أقطار الأرض، وبشئى المستويات الثقافية والطبقات الاجتماعية، وبعضهم لهم شأن ووجاهة في أقوامهم.

حجة الوداع

وحقوق الإنسان بين الحقيقة والسراب

أجرى اللقاء / أحمد أحمد صيام

ونحن نعيش هذه الأيام نفحات الحج مُتَنَسِّمين عطره وشذاه حيث كانت حجة الوداع هي آخر حجة أداها النبي محمد (صلى الله عليه وسلم). وألقى خطبة نوه فيها إلى أن وقت وفاته قد اقترب. وأدلى فيها بوصايا مهمة لكل المسلمين تنال الكثير من الأمور الحياتية والاجتماعية وغير ذلك من المجالات. والكثير من المصادر خلطت بين ما اشتملت عليه خطبة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في مكة وعرفات ومني. وما جاء في تلك الخطبة. ويسرنا أن يكون لقاءنا في هذا الحوار مع فضيلة الشيخ نصر أحمد أبو عطايا لنلقي الضوء على أهم المرتكزات في خطبة الوداع فإلى حوارنا معه.



* حقوق الإنسان المسلم كانت من الأسس البارزة في خطبة الوداع نريد منكم إلقاء الضوء على خطبة الوداع ، ومدى أهميتها للبشرية جمعاء ؟

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله . محمد بن عبد الله . وعلى آله وصحابه ومن والاه . أما بعد :

فاعلم يا أخي الكريم أنّ خطبة الوداع - التي ألقاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته الوحيدة هي دستور جامع مانع . صالح للبشرية جمعاء لو أخذوا بها لأصلحت كثيرا من المفاسد . إذ اشتملت على شتى مناجي الحياة . ولا يسعنا في هذا المقام تناول كل بنودها . ولكني أخص ما يصلح إسقاطه على واقعنا الراهن .



وطبق ذلك عملياً فبدأ بنفسه - صلى الله عليه وسلم - فقال: « وَإِنَّ أَوَّلَ دِمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمَ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ، كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَيْتِي سَعْدٍ فَقَتَلْتُهُ هَذِبُلٌ » ومنها القضاء على التمييز العنصري وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً في خطبة الوداع: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ آبَاءَكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ » قالوا: بلى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: « فَلْيَبْلُغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ »

وطبق ذلك - صلى الله عليه وسلم - عملياً، فأخى بين أبي بكر الصديق رضى الله عنه وبلال الحبشي، وبين عمر بن الخطاب وصهيب الرومي، وبين عليّ وسلمان الفارسي، فهذه مؤاخاة بين السيد والعبد، الأبيض والأسود، العربي والأعجمي غير العربي.

ومنها أيضاً حقوق المرأة فقال ﷺ في خطبة الوداع: « أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمُ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ، إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ ». وكما ورد صحيحاً عن ابن عباس،

ومثلاً لا وراء فيه أنّ للإسلام فضل السبق على الدنيا كلها في رفع شعار حقوق الإنسان وتطبيقه عملياً ...

* فضيلة الشيخ، هل لكم أن تذكروا لنا بعض الأسس التي أرساها النبي - صلى الله عليه وسلم - في خطبة الوداع؟

بالطبع، ولكن قبل أن أتناول خطبة الوداع، أود أن أقول: إنّ من أهم حقوق الإنسان التي أرساها الدين الإسلامي: هي حرية العقيدة وقد كفلتها الشريعة الإسلامية، بدليل فرض الجزية، وهي لا تفرض إلا على غير المسلمين في دار الإسلام حيث قال تعالى: { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْعَيِّ } البقرة: ٢٥٦ وقال تعالى: { لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ } الكافرون: ٦

ثم نرى النبي - صلى الله عليه وسلم - كان حريصاً على أن يوصي الأمة بهذه الأسس العظيمة بعد أن أعلنها مدويةً أمام العالم كله يوم عرفة، يوم انعقاد المؤتمر العالمي السنوي.

منها حقوق الإنسان بكل جوانبها حيث قال صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع: « إِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحَرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ».



عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - . قَالَ : « خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِيهِ . وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي »

وكذلك منها القضاء على الربا فقال ﷺ في خطبة الوداع : « وَرَبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ . وَأَوَّلُ رَبًّا أَضْعُ رَبَانَا . رَبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ . فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ . »

لأنَّ الربا يخرَّبُ رؤوس الأموال . ويدمِّر الاقتصاد ويعبث بالتجارة . إذ الربا أداة من أدوات الركود . لذا .. فإننا لاحظنا في السنوات الأخيرة - إبان أزمة الاقتصاد العالمية - أنَّ بعض دول أوروبا أقرت واعترفت بأنه لا حل لهذه الأزمة إلا إذا جعلنا الفائدة صفرًا . وهنا أيضاً بدأ النبي - صلى الله عليه وسلم - بنفسه فقال : « ربانا » . ولم يخجل في الحق . لأنه - صلى الله عليه وسلم - الأسوة الحسنة .

* هل من حقوق أخرى نستطيع أن نضيفها لما ذكرتم ؟
نعم . أذكر منها:

حُسن معاملة غير المسلمين حيث قال تعالى: (وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ) التوبة: ٦

وكذلك أيضاً منها العدل وحرية الرأي فها هو عُمَرُ رضى الله عنه تعترضُ امرأةً من قريشٍ على نهيهِ النَّاسِ أَنْ يَزِيدُوا فِي الْمُهْجُورِ عَلَى أَرْبَعِمِائَةِ دِرْهَمٍ فَيَقُولَ لَهُ : أَمَا سَمِعْتَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : (وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ سَنِينًا وَاتَّخُذُوهُنَّ بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا) النساء فرجع عمر عن نهيه بعد أن قال : اللَّهُمَّ عُفْرَانِكَ : كُلِّ النَّاسِ أَفْقَهُ مِنْ عُمَرَ .

وعندما اعترضَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ عَلَى عُمَرَ وهو يخطب . بعدما أتته نِيَابٌ مِنَ الْيَمَنِ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا نَسْمَعُ وَلَا نَعِي . قَالَ عُمَرُ رضى الله عنه : وَلِمَ ؟ قَالَ : لِأَنَّكَ تَلْبَسُ تَوْبِينَ وَتَلْبِسُنَا ثَوْبًا وَاحِدًا ؛ قَالَ عُمَرُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ . فَمَ فَا حَيْبُ ! فقام فقال : إِنَّ أَبِي رَجُلٌ طَوَالٌ . لَا يَكْفِيهِ تَوْبٌ وَاحِدٌ . فَأَعْطَيْتُهُ ثَوْبِي . فَوَصَلَهُ بِثَوْبِهِ وَابْسَهْمَا هُنَا قَالَ سَلْمَانُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْآنَ قُلْ نَسْمَعُ . وَأَمْرٌ نَطْعُ .

* هل من كلمة أخيرة نتوج بها ما سلف؟

أشكر لكم هذه اللفتة الطيبة أقول: إِنَّ الَّذِينَ يَتَشَدَّقُونَ بِأَنْهَم رُعَاةُ الْحُرِّيَّاتِ كاذِبُونَ فَهَا هِيَ الثَّوْرَةُ الْفَرَنْسِيَّةُ الَّتِي قَامَتْ فِي قَلْبِ أَوْرُوبَا عَامَ ١٧٨٩ م . وَكَانَ شِعَارُهَا : الإِخَاءُ - الْحُرِّيَّةُ - الْمَسَاوَاةُ . مَجْرَدَ كَلِمَاتٍ جَوْفَاءٍ لَا قِيَمَةَ لَهَا .. فَهَمَّ يَضْطَهَدُونَ الْمُسْلِمِينَ . وَيُحَارِبُونَ الْمُسْلِمَاتِ الْمُحْجَبَاتِ ... حَتَّى أَسْأَلُوا لُعَابَ عَدَدٍ مِنَ الدُّوَلِ الْأَوْرُوبِيَّةِ فَنَادَوْا بِهَدْمِ مَأْدَنِ الْمَسَاجِدِ . وَعَدَمِ السَّمَاكِحِ بِنَاءِ أَيِّ مَسْجِدٍ فِيهَا بَعْدَ .

فأين هي حقوق الإنسان؟ وأين هي منظمة الأمم المتحدة؟ التي أنشئت عام ١٩٤٥ م . ولم تكن يوماً متحدة إلا ضد العرب والمسلمين وكذلك مجلس الأمن لم يكن يوماً إلا لأمن غير العرب . وغير المسلمين . بدليل أن إسرائيل تعبت في الأرض فساداً ليل نهار ولا أحد يحرك ساكناً وبذبح المسلمون في بورما ويحرقون . وفي العراق . وفي سوريا . وغيرهم .

وفي عام ١٩٤٨ م سكتت منظمة الأمم المتحدة على تقسيم دولة فلسطين .

وفي عام ١٩٤٩ م وافقت على قيام دولة إسرائيل . فوق أرض مُغْتَصَبَةٍ . هي أرض فلسطين .

واليوم عندما عزم الفلسطينيون على إعلان دولتهم انتفضت أمريكا مهددة باستخدام حق الفيتو ضد إقامة دولة فلسطين . بحجة أن قيامها ضد معاهدات السلام ... يا له من عجب ! استقرار شعب واستقلاله يهدد السلام . أَمَا الْعَصَبُ وَالْإِحْتِلَالُ وَنَهْبُ الثَّرَوَاتِ . وَتَخْرِيبُ الْمُقَدَّرَاتِ . وَالْعَبَثُ بِالْقُدْسِ وَالْأَقْصَى ... فلا !

فأين حقوق الإنسان التي طالما تشدقوا بها !؟

وما هي حضارة إسرائيل بين الأمم حتى عكفوا على تدليلها؟ فيا أيها العرب أفيقوا من رقدتكم فوالله لو أنكم أقمتهم سوقاً عربية مشتركة [سوبر ماركت] لهايكم العالم كله . فما بالكم لو كان جيشاً عربياً واحداً !!

ولكن كيف يكون ذلك ونحن نرى بعضنا يدمر بعضاً؟! حتى إنهم كفوا أعداءنا عناء إبادة الشعوب العربية فحملوا هم على عاتقهم القيام بتلك المهمة بدلاً منهم .

وَأَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ . رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ . أَنْ يُعَزِّزَ أَمْتَنَا . وَأَنْ يَرْبِّئَنَا صَدْعَهَا . وَأَنْ يُؤَلِّيَ عَلَيْنَا مَنْ يَصْلِحُ وَيُصْلِحُ . إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ .

مقاصد الحج وأدابه

بقلم: د. محمد تاج العروسي

عضو هيئة التحرير

وأن يُكثر من ذكر الله تعالى. والدعاء في مواطن الإجابة بأن يوفقه الله لأداء الحج على الوجه الصحيح. وفيما يلي تفصيل ذلك:

أولاً: آداب الحج:

١. إخلاص النية لله. فهو مدار العمل. فلا يقصد بحجه أن يقال له فلان حاج. وإنما يحج رغبة في ثوابه. وخشية من عقابه. وحقيقاً لعبوديته. بالانكسار بين يديه.
٢. تخير النفقة الطيبة. لحديث (إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً) رواه مسلم. وقد ورد في الأثر (أن الحج المبرور هو الذي لا رياء فيه ولا سمعة. ولا رفث ولا فسوق. ويكون بمال حلال) التمهيد لابن عبد البر ٣٩ / ٢٢.
٣. الإكثار من الإنفاق على الفقراء والمساكين. لحديث (الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة. قيل وما برّه؟ قال إطعام الطعام وطيب الكلام) رواه أبو داود.
٤. تزكية النفس. وترويضها على الفضائل. وتطهيرها من النقائص. وتصفيتها من الكدرات. وحريرها من رق الشهوات.
٥. الحرص الشديد على نيل المنافع الدنيوية والأخروية التي أشارت إليها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية قال الله تعالى: (لِيَسْتَهْدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكَلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ). فقد وردت المنافع في الآية مجملة بصيغة تفيد العموم. أي منافع كثيرة في الدنيا والآخرة. أهمها:

باب الحج من أوسع أبواب الفقه وأكثرها تشعباً. فقد حوى أدق المسائل العلمية والأحكام الشرعية التي تهم المسلم في حياته اليومية وعباداته الشرعية. ولذا عني العلماء قديماً وحديثاً بأحكام الحج تأليفاً وتدريساً ومناقشة. وجمعوا الآيات. والأحاديث التي وردت في ذلك وعكفوا عليها لاستخراج الأحكام الفقهية منها. وتفريع الفروع عليها. وبلغوا في الدقة والتفصيل غاية ما وراءها غاية. جزاهم الله عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء. ويجمع الحج من الفضائل ما لا يعد ولا يحصى مما وعد الله عليه. وأخبر به رسوله ﷺ من الأجر العظيم والثواب الجليل. والمغفرة من الذنوب. ففي صحيح البخاري (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه). وذلك كاف لأن تتوفر الدواعي وتشحذ العزائم. وتتوجه الهمم إلى معرفة فقهه. وأدابه. وسننه. ومقاصده. وبذل أقصى الطاعة في إحسانه وإكماله.

ويغفل كثير من يتوجه إلى بيت الله الحرام لأداء النسك عن المقاصد الأصلية التي شرعت لأجلها هذه الفريضة. ويجهل أبسط الأمور من أحكام الحج وأدابه. مما يؤدي إلى ترك ركن أو واجب من واجبات الحج. أو ارتكاب محرّم. أو محظور من محظورات الإحرام. وبالتالي يُحرّم تلك الثمرات المباركة. والأسرار والبركات التي وضعها الله في هذه العبادة العظيمة في تلك البقعة المباركة. والأيام الفاضلة.

فلذا يجب على كل من يقصد أداء النسك أن يحرص غاية الحرص على مراعاة آداب الحج وأحكامه. والبعد عن كل ما يفسد عليه حجه. أو ينقص أجره. من المحظورات والمحرمات.





ثانياً: معرفة المنهج النبوي في حجته للتأسي به، واقْتفاء أثره في أقواله وأفعاله

وسميت تلك الحجة بـ (حجة الوداع) ، وحجة الإسلام، وحجة البلاغ)؛ لأنه عليه الصلاة والسلام ودّع الناس فيها ولم يحج بعدها. ولأنه لم يحج من المدينة غيرها. ولأنه بلغ الناس شرع الله في الحج قولاً وفعلاً. ولم يكن بقي من دعائم الإسلام وقواعده شيء إلا وقد بينه للناس إجمالاً وتفصيلاً. فقد حج معه أكثر من مائة ألف حاج. ومنذ أن خرج من المدينة إلى انتهائه من فريضة الحج كان يعلم أصحابه أحكام الحج. ويكرر من قوله ﷺ: (خذوا عني مناسككم) لينبّه الناس على التأسي به في أعمال الحج قولاً وفعلاً. وفي الزمان والمكان. وقد بدأ نسكه بالإحرام من الميقات. ثم بين المواقيت. فقد ورد في الصحيحين أن النبي ﷺ: وَقَتِ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ بذي الحليفة، ولأهل الشام الجحفة، ولأهل نجد قرن المنازل. ولأهل اليمن يلمم. ثم قال: (فهنّ لهنّ. ولئن أتى عليهنّ من غير أهلهنّ ممن أراد الحجّ والعمرّة. ومن كان دون ذلك، فمن حيث أنشأ حتى أهل مكة من مكة) متفق عليه.

ثم بين للناس أصناف النُّسك، من الإحرام بالحج مفرداً أو مقارناً، أو متمتعاً. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: من أراد منكم أن يهمل بحج وعمرة فليفعل. ومن أراد أن يهمل بحج فليفعل. ومن أراد أن يهمل بعمره فليهمل. قالت عائشة رضي الله عنها فأهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحج. وأهل به ناس معه. وأهل ناس بالعمره والحج. وأهل ناس بعمره. وكنت في من أهل بعمره) رواه الجماعة

مغفرة الذنوب ومحوها. وفتح صفحة جديدة في العلاقة مع الله. وخصيل التقوى بالتزود بالأعمال الصالحة أثناء الحج. والتعرض لنفحات الله في عرفات. وتعلم الحلم والصبر. وكظم الغيظ في التعامل مع الحجاج أثناء الزحام سواء في الطريق. أو الطواف. أو السعي. أو رمي الجمرات. والتعاون مع المسلمين على البر والتقوى. والكرم والبذل والبر والرحمة. والتعود على اغتنام الأوقات بالاستكثار من الصلاة في الحرم مع الجماعات. والإكثار من طواف بيت الله الحرام. ومن ذكر الله في المشعر الحرام وأيام التشريق. والصدقة على الفقراء والمساكين في الحرمين الشريفين. فقد ورد في الحديث الصحيح ما يؤكد هذا المعنى منها. حديث (أن بر الحج إطعام الطعام ولين الكلام) وفي رواية: (وطيب الكلام) رواه أبو داود والترمذي.

وورد في حديث صحيح: (من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه). أي أنه خرج من حجه مغفور الذنب كالمولود الذي لم يجر عليه قلم التكليف. وقد جاء التصريح بغفران ذنب الحجاج بلفظ: (من حج فلم يرفث ولم يفسق غفر له ما تقدم من ذنبه).

مصاحبة الصالحين. وخاصة أهل العلم. فصحبتهم جعل النفس تواقفة إلى الطاعات. ومتلذذة بفعل الخيرات. ولذا عد العلماء من آداب الحج (التماس رفيق صالح حسن الخلق والسُّمت. يكون عوناً له على نصبه وأداء نسكه. يهديه إذا ضل. ويذكره إذا نسى. سيما إن تيسر رفيق عالم). وفي هذا المعنى قول الشاعر:

أنت في الناس تقاس بالذي اخترت خيلاً
فأصحب الأخيـار تـعلو وتـنل ذكراً جميلاً

الإفراد والقران. والتمتع).

فبناءً على هذا الحديث وغيره، فقد اتفق الفقهاء على أن أوجه أداء الحج ثلاثة:

(الإفراد والقران. والتمتع).

الأول: الإفراد: وهو أن يحرم بالحج وحده، فإذا وصل إلى الميقات يقول: لبيك حجاً، وإذا وصل مكة يطوف طواف القدوم، ويسعى للحج، ويبقى على إحرامه حتى يحل منه يوم العيد، ويجوز أن يؤخر السعي إلى ما بعد طواف الحج كالفارن، وليس على المفرد هدي. وبهذا تبين أن عمل المفرد والقران سواء، إلا أن القران عليه الهدى لحصول النُسكين له دون المفرد.

الثاني: القران: وهو أن يحرم بالعمرة والحج معاً، فيقول: لبيك عمرة وحجاً، أو يحرم بالعمرة أولاً ثم يدخل الحج عليها قبل الشروع في طوافها، فإذا وصل إلى مكة طاف طواف القدوم، وسعى بين الصفا والمروة للعمرة والحج سعياً واحداً، ثم استمر على إحرامه لا يتحلل، ثم يخرج إلى المشاعر في اليوم الثامن من ذي الحجة، ويتم بقية النسك المكون من نسكين «عمرة وحج» إلا أنه لا يسعى؛ لأنه قد سعى بعد طواف القدوم، وعليه هدي شاة، أو سُبُع بدنة، أو سبع بقرة، فإن لم يجد فصيام ثلاثة في الحج، وسبعة إذا رجع إلى أهله.

ويجوز أن يؤخر السعي عن طواف القدوم إلى ما بعد طواف الحج، لا سيما إذا كان وصوله إلى مكة متأخراً وخاف فوات الحج إذا اشتغل بالسعي.

الثالث: التمتع: وهو أن يحرم بالعمرة وحدها في أشهر الحج «شوال، وذو القعدة، والعشر الأول من ذي الحجة» ويقول: لبيك عمرة متمتعا بها إلى الحج، ويتحلل من عمرته بطواف وسعي وتقصير، ويحل له كل شيء من محظورات الإحرام، وفي اليوم الثامن من ذي الحجة يحرم بالحج من مكانه، ويخرج إلى المشاعر، ويتم الحج، وعليه هدي شاة، أو سُبُع بدنة، أو سُبُع بقرة، فإن لم يجد، فعليه صيام ثلاثة أيام في الحج، وسبعة إذا رجع إلى أهله.

وقد أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإفراد في أول الأمر، ولكن جبريل أتاه بوادي العقيق وأمره أن يهمل بالحج والعمرة، حيث قال: (أتاني الليلة أت من ربي، فقال: صل في هذا الوادي المبارك، وقل: عمرة في حجة...) متفق عليه.

فلما قدم مكة طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة، وأمر أصحابه من لم يسق الهدى معه بالتحلل بالعمرة، وتردد أكثر الصحابة؛ لأنهم يعتقدون أن العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور، فلذا قال جابر: الحل كله؟ ما يدل على أن التطبيق العملي قد شق عليهم، وبلغه كذلك قول

بعضهم: (... لما لم يكن بيننا وبين عرفة إلا خمسين، أمرنا أن نحل إلى نسائنا فنأتي عرفة تقطر مذاكيرنا المذي، المني) متفق عليه.

فلذا أراد الرسول ﷺ إبطال ذلك الاعتقاد، وقال لهم: (... قد علمتم أنني أتقاكم لله، وأصدقكم وأبركم، ولولا هديي لخللت، كما خلون فحلوا، فلو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت، فحللنا وسمعنا وأطعنا) متفق عليه.

ثم سأله هل هذا خاص بهذه السنة أم للأبد، فأجابهم: (دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة) وفي رواية قال: «لا بل للأبد» فنسبك بين أصابعه.

وقد فهم أكثر العلماء من ذلك أن التمتع هو الأفضل، بل ذهب البعض إلى أبعد من ذلك وجعله لازماً، فقد نقل عن جماعة من السلف والخلف إيجاب التمتع بالعمرة المفردة على من لم يسق الهدى معه منهم ابن عباس رضي الله عنهما، فلما سئل عن متعة الحج، قال: (أهل المهاجرون والأنصار وأزواج النبي ﷺ في حجة الوداع وأهلنا، فلما قدمنا مكة قال النبي ﷺ: (اجعلوا إهلالكم بالحج عمرةً إلا من قلد الهدى فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة وأتينا النساء ولبسنا الثياب) رواه البخاري.

وهناك من يرى أن الإفراد هو الأفضل لمن يستطيع المجيء مرة أخرى بالعمرة، لما روي أن عمر بن الخطاب كان يقول: (فافصلوا حجكم من عمرتكم، فإنه أتم لحجكم، وأتم لعمرتكم) رواه مسلم.

ولأن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أفردوا الحج وواظبوا عليه، ولو لم يكن هذا هو الأفضل عندهم لم يواظبوا عليه مع أنهم الأئمة الأعلام، وقادة الاقتداء، وما نقل من الخلاف عن علي فإنه فعله لبيان الجواز لأنه خشى أن يحمل النهي على التحريم.

وهناك فريق ثالث: يرى أن القران هو الأفضل؛ لأن الله لا يمكن أن يختار لنبيه إلا ما هو الأفضل، وهي الحجة الوحيدة التي حجها رسول الله ﷺ بعد أن فرض الحج، وبقي الخلاف قائماً بين العلماء في ذلك إلى يومنا وإن كانت الأغلبية تميل إلى أفضلية التمتع، لقوة الأدلة التي وردت في هذا المعنى.

ثالثاً: معرفة أحكام الحج:

ينبغي لكل من يريد الحج أن يبدأ بالتفقه في أحكام الحج ولو على سبيل الإجمال، حتى يعرف ما ينبغي أن يفعله، من الشروط والأركان، والواجبات، والسنن والمستحبات، ويتجنب ما يحرم على الحرام، وما يكره له، وما يحظر عليه



من الأقوال والأفعال، والمعاملات، امتثالاً لقوله تعالى: (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج). وقوله صلى الله عليه وسلم (من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه). فللحج أربعة أركان لا يصح بدون واحدة منها:

١. الإحرام: وهو النية المقتزئة بقول أو فعل متعلق بالحج، كالتلبية والتوجه إلى الطريق، والأرجح أنه ينعقد بمجرد النية، فنية الدخول في النسك ركن من أركان الحج، وأما لبس الإحرام فهذا واجب وليس ركناً، وبعض العوام لا يفرق بين لبس الإحرام وبين نية الدخول في النسك، والفرق بينهما أن نية الدخول في النسك ركن من أركان الحج فلو أن إنساناً لبس إحرامه ولم ينو الدخول في النسك لا حج له، ولو نوى الدخول في النسك ولم يلبس إحرامه صح حجّه مع الإثم.

٢. الوقوف بعرفة. ومن فاتته الوقوف بعرفة: فقد فاتته الحج. لحديث (الحج عرفة) رواه أبو داود والترمذي. ويبدأ الوقوف من بعد الزوال، وعلى الحاج أن يبقى إلى ما بعد الغروب، ثم ينصرف، وهناك من يستعجل للانصراف قبل أن تغرب الشمس، وهذا مخالف للنهج النبوي؛ لأنه بقي إلى ما بعد الغروب، وقال: «خذوا عني مناسككم» فمن اندفع قبل الغروب فحجّه صحيح، ولكن هل عليه دم أم لا؟ والذي عليه الجمهور أن عليه دم إذا لم يرجع قبل طلوع فجر يوم النحر؛ لأنهم حملوا أمر الرسول على الوجوب، وهناك من اعتبر الوقوف بعد الغروب ركناً، وحكم على من دفع قبله بفساد الحج، وهم المالكية؛ لحديث (الحج عرفة من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد أدرك الحج) قالوا، فقد علق إدراك الحج بإدراك الوقوف بعرفة ليلاً.

والذي عليه الجمهور أن وقوف عرفة إلى غروب الشمس سنة، ولا يترتب على من دفع قبل الغروب شيء؛ لحديث عروة بن مضرّس الطائي رضي الله عنه وفيه: «... من شهد صلاتنا هذه ووقف معنا حتى ندفع وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلاً أو نهاراً فقد أتم حجّه وقضى تفته». فقوله: «ليلاً أو نهاراً» يدل على إجزاء الوقوف بأي جزء من الليل أو النهار، ولأن الأصل براءة الذمة، فلا يوجد حديث صحيح صريح يوجب الوقوف حتى الغروب، وهذا القول هو الذي عليه الفتوى.

وعموماً ينبغي للحاج أن يحتاط لدينّه، ويحرص على البقاء حتى غروب الشمس، وإن حصل منه انصراف عمداً فعليه الدم خروجاً من الخلاف، وإن كان عن جهل أو لعذر شرعي، فليس عليه شيء.

٣. طواف الإفاضة: ويسمى طواف الركن، أو طواف الحج، أو

طواف الزيارة وهو الطواف الذي يحصل به التحلل الأكبر، قال الله تعالى: (ثم ليقيموا أنفسهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق). ويفضل أن يكون في أيام التشريق ويكره تأخيرها عنه بلا عذر، ولا آخر لوقته إن كان التأخير لعذر شرعي، أما لغير العذر فيجب أن يبادر الحاج بأدائه قبل أن ينتهي شهر ذي الحجة؛ لأن حجّه لن يتم إلا به لركنيتها، ولأنه أبرأ للذمة.

أما إذا حاضت المرأة قبل الطواف فهل يحل لها الانصراف بدونه أم لا؟

فقد اعتبر العلماء هذه المسألة من المسائل التي عمت فيها البلوى، والحكم فيه يحتاج معرفة حال المستفتية بالتفصيل، فكل حالة لها حكمها، ولا ينبغي أن يعمم الحكم بجواز الطواف وعدمه، وقد وقع في هذه المسألة خلاف طويل بين أهل العلم فيما على المرأة فعله، والأحوط أن تبقى إذا لم يترتب على ذلك ضررٌ كبير في دينها، ونفسها، وإذا عجزت عن ذلك فعليها أن تسأل من تثق في دينه.

ولشيخ الإسلام تفصيل في الحكم بناء على اختلاف العلماء في صحة الطواف بدون طهارة وعدم صحته، كما بناه على أن أصول الشريعة مبنية على أن ما عجز عنه العبد من شروط العبادات يسقط عنه، ولكن يعارضه كون الطواف ركناً، وقول الرسول ﷺ: (أحباستنا هي؟)، ما يفهم أنه لا يسقط بحال من الأحوال.

(انظر فتاوى للحج من مجموع فتاوى ابن تيمية ١/ ٣٤٤) وهناك مسألة مهمة يقع فيها أيضاً بعض الحجاج، وهو جماع الزوجة قبل التحلل الأول أو بعده.

إن جامع زوجته قبل التحلل الأول بطل حجّه وحجّها، إن كانت مطاوعة، ووجب على كل منهما بدنة مع إتمام مناسك الحج، فمن عجز منهما عنها صام عشرة أيام، وعليهما الحج من قابل، والاستغفار والتوبة، أما إذا جامع بعد التحلل الأول، فقد فسد إحرامه، فعليه وعلى زوجته إن كانت مطاوعة شاة يذبحها ويوزعها على الفقراء، أو يطعم ستة مساكين، لكل مسكين نصف صاع، أو يصوم ثلاثة أيام، ثم يجدد الإحرام من أدنى الحل ليطوف طواف الإفاضة محرماً.

٤. السعي: ركن من أركان الحج؛ قال ﷺ: (اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي) رواه الدارقطني، وصححه الألباني، وقول عائشة رضي الله عنها: (والله ما أتم الله حجّ رجل ولا عمرته لم يطف بهما) رواه مسلم.

ويجوز للحاج أن يسعي إثر طواف القدوم، وإن أخره إلى ما بعد طواف الزيارة جاز أيضاً، في حق المفرد والقارن، أما



المتمتع فإنه يسعى للعمرة فقط ثم يتحلل ولا يشترط له طهارة من الحدث عند جمهور أهل العلم، ويجوز للحائض أن تسعى قبل أن تطهر من الحيض؛ لقول الرسول ﷺ لعائشة: (افعلي ما يفعل الحاج غير ألا تطوفي بالبيت حتى تطهري) رواه مسلم. ومحل الشاهد، أنه لم يمنعها إلا من الطواف بالبيت، ما يدل على أن السعي يدخل في الأفعال الذي أذن بها رسول الله ﷺ للحائض، والمسعى مشعر مستقل لا يدخل في المسجد.

أما واجبات الحج فكثيرة: وهي أمور إذا تركها الحاج أثم، ووجب عليه الفدية تكفيراً لذلك الترك، ولا يفسد حجه بخلاف الأركان وسواءً في ذلك أن يتركها عمداً أو سهواً إلا أن يتركها للعجز عنها، فإنه لا فداءً عليه. كمن ترك المشي في الطواف لمرض، أو ترك الوقوف في مزدلفة لشدة الزحام، وهي على قسمين: واجبات مستقلة بنفسها، وواجبات تبع لغيرها. وجمعهما فيما يلي :

الأول: الإحرام من الميقات، فإذا أحرم قبله بيسير جاز. وإن تجاوزه بغير إحرام، وجب عليه الرجوع إليه للإحرام منه، أو الفدية، والتجرد من الخيط.

الثاني: الوقوف بعرفة إلى الغروب لمن وقف نهاراً.

الثالث: المبيت بمزدلفة إلى الفجر حتى يسفر الصباح جداً إلا الضعفاء، والنساء، ومن فاتته الوقوف بتفريط منه يلزمه عند أهل العلم دم يجبره به، وأما مقداره فمن إمكان الوصول؛ لأن من الناس من لا يصل إلى مزدلفة إلا قرب الفجر، ومنهم من يصل إلى المزدلفة بعد غروب الشمس بقليل، وإن دفع بعد منتصف الليل، بحيث يمضي غالب الليل، فالأمر فيه سعة عند جمع من أهل العلم، ولكن المبيت بها من وصوله إلى الإسفار أفضل، اقتداء به ﷺ، فقد صلى الفجر بها وأقام حتى أسفر جداً، وقال: (خذوا عني مناسككم).

الرابع: المبيت بـ«منى» ليالي التشريق، فإن الإقامة بها تلك الليالي والأيام، من المراقبة على طاعة الله تعالى في تلك الفجاج المباركة، والمراد بالمبيت، الإقامة بـ«منى» أكثر الليل، وهذا الرأي هو الذي اختاره جمهور الفقهاء - ومنهم الأئمة، مالك، والشافعي، وأحمد والجبوب، ووجهه أن تخصيص النبي ﷺ العباس بترك المبيت للسقاية، دليل على عدم الرخصة لغيره، من لا يعمل مثل عمله، وإلى الاستحباب ذهب أبو حنيفة والحسن.

الخامس: رمي جمرة العقبة والجمار أيام التشريق، ويشترط أن يقصد الرمي في مكان الرمي، فلو طارت الحجره من يده إلى مكانها من غير قصد منه، كما إذا دفعه غيره فطارت الجمرة من يده فسقطت في مكانها، لم يصح، وأن تقع

الجمرة التي يرميها في مكانها المقصود داخل دائرة الرمي، فإن وقعت خارجها لم يصح إلا أن يكون قريباً منها فيصح، وقد قدر ذلك بذراع.

السادس: الحلق أو التقصير، فالحلق إزالة الشعر من الرأس بالموسى وما في معناه، والتقصير قطع جزء من شعر الرأس بالمقص وما إليه، وهو أدنى من الحلق والحلق أفضل من التقصير للرجال، كما أن التقصير أفضل من الحلق للنساء.

ويشترط في الحلق والتقصير أن يكون الحلق في أيام النحر الثلاثة، وهي: العاشر والحادي عشر، والثاني عشر من ذي الحجة، ولا يؤخر عن ذلك إلا لعذر.

وأن يكون الحلق في منطقة الحرم، وهي مكة وما حولها، ما هو دون منطقة الحل، وأن لا يقل عن الحد الذي يجب في مسح الرأس للوضوء، وهو ربع الرأس يحلقه بالموسى، أو يقصر منه بمقدار أملة، فإن كان لا شعر على رأسه، كالأصلع، أمر الموسى على رأسه وكفاه.

السابع: طواف الوداع، ويسمى طواف الصّدر، وهو واجب على أهل الأفاق لا غير، وهم المقيمون خارج دائرة الحل؛ لقوله ﷺ: (لا ينفرن أحد منكم حتى يكون آخر عهده بالبيت) رواه مسلم، ولا يجوز التوكيل في الطواف سواءً طواف الزيارة أو طواف الوداع، ومن ترك طواف الوداع بغير عذر فعليه دم يذبح بمكة ويوزع على فقراء ومساكين الحرم، أما المقيمون في مكة المكرمة، أو داخل دائرة الحل، فلا يجب عليهم هذا الطواف كما لا يجب على غير الحاج أصلاً، أما المعتمر فليس عليه وجوباً، وإنما استحباباً أما العاجز والمريض والحائض والنفساء فلا يلزمهم طواف الوداع؛ لقول ابن عباس رضي الله عنهما: (أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت، إلا أنه خفف عن المرأة الحائض)، وقاس العلماء على الحائض أصحاب الأعذار الآخرين، ويتكرر السؤال من المقيمين خارج مكة، ألا وهو:

هل يسقط طواف الوداع من أهل جدة والمدن المماثلة لها؟ وكذا من كان دون مسافة القصر، هل عليه طواف الوداع؟ وهل يصح الرجوع إلى جدة والطائف بعد الحج ثم العودة إلى مكة بعد الزحام لطواف الوداع؟

فقد ذهب بعض أهل العلم من المعاصرين إلى سقوط طواف الوداع من المقيمين في هذه المدن، وكذا من كان دون مسافة القصر، وهذا اجتهاد ورأي، وليس هناك دليل يساند هذا التوجه.

والذي عليه جمهور أهل العلم أن طواف الوداع يشمل كل من قدم من خارج مكة ولو كان من أهل الجموم؛ لأن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان الناس يصدرون من فجاج منى





وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. لا إله إلا الله وحده، أُنزِعَ وَعَدَهُ ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده ثم دعا بين ذلك، قال مثل هذا ثلاث مرات).

٢. الدعاء عند المروة، وفيه أيضا: (ثم نزل المروة، حتى إذا انصببت قدماه في بطن الوادي سعى حتى إذا صعدتا مثشى، حتى إذا أتى المروة ففعل على المروة كما فعل في الصفا).

٣. دعاء يوم عرفة: حَدِيث: (خَيْرُ الدُّعَاءِ بُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

٤. الدعاء عند المشعر الحرام: فقد دعا فيه، وكبر، وهلل، ووحده الله، فلم يزل واقفاً حتى أسفر جداً).

٥. الدعاء بعد رمي الجمرات الصغرى: كَانَ ﷺ إِذَا رَمَى الْجُمْرَةَ الَّتِي تَلِي مَسْجِدَ مَنْبِيٍّ يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ أَمَامَهَا فَيَقِفُ مُسْتَقْبِلًا الْقِبْلَةَ رَافِعًا يَدَيْهِ، وَكَانَ يَطِيلُ الْوُقُوفَ (...).

٦. الدعاء بعد رمي الجمرات الصغرى والوسطى.

٧. الدعاء عنه شرب ماء زمزم قال ﷺ: (ماء زمزم لما شرب له).

ويبدأ بالثناء على الله قبل الدعاء والصلاة على النبي ﷺ والإقرار بالذنب، والتضرع والتشروع، والإلحاح بالدعاء، وتجنب الدعاء على الأهل والمال والنفوس، واستقبال القبلة، والدعاء ثلاثاً، ورفع الأيدي، واختيار الجوامع من الدعاء، وألا يحجر رحمة الله، ويدعو لإخوانه المسلمين كذلك، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وعرفات، فأمرُوا أَنْ يجعلُوا آخرَ عهدِهِم بِالبيتِ الطَّوَّافِ، أَي أَنَّ كُلَّ مَنْ يَغَادِرُ مَكَّةَ مِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ سَكَانِهَا عَلَيْهِ طَوَّافٌ الْوَدَاعِ فَذَكَرْتُ بِصِيغَةِ التَّعْمِيمِ، وَكَانَ النَّاسُ يَصْدُرُونَ مِنْ فَجَاجِ مَنَى وَعَرَفَاتِ إِلَى بِلْدَانِهِمْ فِي تِلْكَ الْأَزْمِنَةِ.

و فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: (لَا يَنْفِرُنَ أَحَدٌ حَتَّى يَكُونَ آخِرَ عَهْدِهِ الطَّوَّافَ بِالبيتِ) وَهَذَا عَامٌ، وَعَلَى هَذَا فَالْأَحْوَاطُ لِكُلِّ مَنْ كَانَ خَارِجًا مِنْ مَكَّةَ سِوَاءً كَانَ قَرِيبًا مِنْهَا دُونَ مَسَافَةِ الْقَصْرِ أَوْ فَوْقَ مَسَافَةِ الْقَصْرِ أَنْ يَطُوفَ طَوَّافٌ الْوَدَاعِ.

رابعاً: الإكثار من الذكر والدعاء:

ينبغي للحاج أن يكثر من الدعاء، وخاصة في المواطن التي يرجو أن يستجاب له فيه الدعاء، وهي كثيرة، فما استجلبت النعم بمثله، ولا استدفعت النقم والمحن وجميع البلاء والأمراض إلا بالدعاء، فالحج فرصة عظيمة للإكثار من الدعاء والإلحاح على الله فالحاج مسافر والمسافر مستجاب الدعاء؛ لقوله - صلى الله عليه وسلم -: (ثَلَاثٌ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ وَدَعْوَةُ الْمَسْأِفِرِ)، ومظان إجابة الدعاء في الحج كثيرة متوافرة فالأوقات، والأماكن، والأحوال، والأوضاع التي يستجاب فيها الدعاء تتوافر في الحج أكثر مما تتوافر في غيره، فمن تلك المظان التي ترضى فيها إجابة الدعاء في الحج الأماكن التالية:

١. الدعاء عند الصفا: ففي مسلم من حديث جابر الطويل وفيه: (فبدأ بالصفا، فرقى حتى رأى البيت، فاستقبل القبلة، فوحد الله، وكبّره، وقال: لا إله إلا الله



معالم إسلامية في

خطبة الوداع

الدكتور عثمان جمعة ضميرية



الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة

وأهدر كل ما كان من شأن الجاهلية فعدت هذه الخطب دستوراً جامعاً للمسلمين. وقد وجدت أنه من الخير. إن شاء الله أن جمع فقرات من هذه الخطب الثلاث صحيح مسلم: ٢ / ٨٨٦ - ٨٩٢ . لنستخلص منها بعض المعاني البارزة والأهداف السامية والمعالم الواضحة على طريق الإسلام.

قال صلى الله عليه وسلم. بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه : ((يا أيها الناس:

- إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم. حرام عليكم. كحرمة يومكم هذا. في شهركم هذا. في بلدكم هذا .
- وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم. ألا لا ترجعوا بعدي ضللاً. يضرب بعضكم رقاب بعض.

- ألا وإن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع.
- ودماء الجاهلية موضوعة. وإن أول دم أضع من دمائنا: دم ابن ربيعة بن الحارث - وكان مسترضعاً في بني سعد فقتله هذيل .
- وربا الجاهلية موضوع. وأول ربا أضع من ربانا. ربا العباس بن عبدالمطلب. فإنه موضوع كله: [وإن تبتم فلکم رءوس أموالکم لا تظلمون ولا تظلمون] البقرة : الآية : ٢٧٩ .

- فاتقوا الله في النساء. فإنكم أخذتموهن بأمان. واستحللتم فروجهن بكلمة الله. ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه. فإن فعلن فاضربوهن ضرباً غير مبرح. ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف.

- وإن الشيطان قد يئس أن يعبد في بلدكم هذا أبداً. ولكنه إن يُطع فيما سوى ذلك فقد رضي ما تحقرون من أعمالكم. فاحذروه على دينكم .

- أيها الناس: إن ربكم واحد . وإن أباكم واحد . كلكم لآدم وأدم من تراب . إن أكرمكم عند الله أتقاكم. ليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى .

- وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده . إن اعتصمتم به : كتاب الله وسنتي .

- وأنتم تسألون عني. فماذا أنتم قائلون ؟ قالوا نشهد أنك قد

مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تسع سنوات لم يحج . ثم أذن في الناس بالحج في السنة العاشرة . فقدم المدينة بشراً كثير . كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله صلى الله عليه وسلم ويعمل مثل عمله .

وبينما هو - صلى الله عليه وسلم- في تلك الحجة في عرفة. نزل الوحي عليه بقوله تعالى: [اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً] المائدة : ٣ .

فكان ذلك إيذاناً بالنعمة السابعة على هذه الأمة . فقد أكمل الله تعالى لهم الدين . فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً. وقد أمه فلا ينقصه أبداً . وقد رضيهم لهم ديناً فلا يسخطه أبداً . ولا يتعد عنه إلا من سفه نفسه.

وكان ذلك هو البلاغ الأخير الذي يبلغه النبي صلى الله عليه وسلم لأمته . ويعلنه لها . ولقد أدرك المسلمون مدى ما تعنيه هذه الآية الكريمة وما يرمي إليه ذلك البلاغ . فلما نزلت هذه الآية. وذلك يوم الحج الأكبر . بكى عمر بن الخطاب رضي الله عنه . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((ما يبكيك . قال: أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا . فأما إذا أكمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص . فقال : صدقت)).

ولما جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين: إنكم تفرؤون آية في كتابكم . لو علينا نزلت - معشر اليهود- لاتخذنا ذلك اليوم عيداً . فقال عمر رضي الله عنه: والله إنني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه على رسول الله ﷺ والساعة التي نزلت فيها على رسول الله ﷺ: نزلت عشية عرفة في يوم الجمعة. وكلاهما بحمد الله لنا عيد .

ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عرفة . وكأنه ﷺ قد استشعر دنو أجله . وخطب بالمسلمين خطبة جامعة في عرفة عند ما زالت الشمس . وخطب أيضاً في يوم النحر خطبة أخرى. وخطب في وسط أيام التشريق. وفي هذه الخطب كلها أرسى رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - قواعد التشريع ورفع منار الإسلام وأعلى من مكانة الإنسان ببيان حقوقه وواجباته وحرمانه

بلغت وأديت ونصحت .

فقال بإصبعه السبابة، يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: اللهم اشهد، اللهم اشهد - ثلاث مرات -)).
وهذه الخطبة الرائعة الجامعة تتضمن أصولاً ومعالم بارزة في دعوة الإسلام ومدرجة الدعوة إليه :

(١) مقاصد الشريعة في الحفاظ على الضروريات الخمس:

لقد اقتضت إرادة الله تعالى وحكمته أن يبعث للناس رسلاً مبشرين ومنذرين، وأن ينزل عليهم كتاباً تتضمن شريعة الله للناس. وما أنزل الله كتبه ولا بعث رسله إلا ليقوم الناس بالحق والقسط، فالشريعة كلها حق وعدل تحقق للناس مصالحهم وتدفع عنهم المفاسد والمضار. ضمن قيود شرعية وضوابط إلهية:

ومصالح الناس في هذه الحياة تتكون من أمور ضرورية لهم، لا تستقيم حياتهم بدونها، وأمور حاجية لدفع الحرج والمشقة، وأمور تحسينية كمالية تكمل ما سبق من مراتب، للأفراد والجماعات. وهذه المصالح الشرعية - بمراتبها الثلاث - تعني الحفاظ على: الدين والنفوس والعرض والعقل والمال، وكل أحكام الشريعة - أي شريعة إلهية - جاءت للحفاظ على هذه الأمور الخمسة، من جهة وجودها، بتشريع الأحكام التي تتكفل بذلك، ومن جهة حفظها وصيانتها لتلايقع عليها أي اعتداء، وإن وقع، فيجب أن يتناول العقاب صاحب العدوان (انظر بالتفصيل: الموافقات في أصول الشريعة للإمام الشاطبي ج ٢ ص ٨ - ٣٠، المستصفي في الأصول للإمام الغزالي: ج ١ ص ٢٨٧، إعلام الموقعين لابن القيم الجوزية ج ٣ ص ٥ - ٧، أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ص ١٩٧ - ٢٠٦، ومقاصد الشريعة الإسلامية لعلال الفاسي ... والمشروعية في النظام الإسلامي د. مصطفى كمال وصفي).

ولقد أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع إلى هذه الضروريات، عندما قال: (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا)، وبذلك ضمن الإسلام للإنسان حقوقه كاملة غير منقوصة، وفي هذا تكريم لهذا الإنسان أياً تكريم!

(٢) - المسؤولية الكبرى ... والأمانة العظمى :

لقد منح الله تعالى هذا الإنسان - من بين سائر مخلوقاته - جميع القوى والطاقات، وزوده بكل المواهب والإمكانات التي تساعد على عمارة الأرض وإقامة منهج الله سبحانه، ليحقق غاية وجوده فيها .
فأعطاه الله تعالى طاقة عقلية وأخرى روحية وثالثة جسدية، ومنحه الإرادة والحريّة والاختيار، وجعل تركيبه أحسن تركيب وخلق في أحسن تقويم ... فكان - بذلك - أهلاً لأن يحمل أمانة التكليف، وبمقدار ما يعطى الإنسان بمقدار ما يطالب، فلئن

كان مكلفاً، فهو إذن مسؤول عن هذا التكليف والقيام به، لكي يجازي ويحاسب، تحقيقاً لحكمة الوجود، ونفياً للعبث عن أحكام الله سبحانه.

فكان واجباً على كل مسلم أن يستشعر عظم المسؤولية، وأن يقدر هذا الإسلام حق قدره، فيعلم أنه سبب العزة والنصر والقوة والتمكين لهذه الأمة ... وعندئذ فهو يحاذر من أن يرجع إلى الضلالة أو يتردى في الجاهلية بعد أن هداه الله وأنقذه، وهو يحاذر الذل بعد العزة، والضعف بعد القوة والهزيمة بعد النصر والتمكين .. وقد أدرك المسلمون الأولون، منذ عهد الصحابة ومن بعدهم قيمة هذا الدين وأثره في حياتهم، فكان من ذلك كلمة عمر رضي الله عنه: لقد كنتم أحقر الناس وأذل الناس فأعزكم الله بالإسلام ... فمهما ابتغينا العزة بغيره فقد أذلنا الله! وذلك هو قوله عليه الصلاة والسلام في خطبة الوداع:

((وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالاً...)).

(٣) - بين الإسلام والجاهلية:

الإسلام هو منهج الله الخالد للبشرية، والذي يعطي الإنسان التصور الصحيح عن الله والكون والحياة والإنسان نفسه، ويحدد العلاقة بين كل من هذه المقومات كلها، وعندما ينوب الإنسان إلى هذا المنهج الإلهي، فيستمد منه تصوراته وعقيدته وشريعته ومنهج حياته ونظامه الأخلاقي، يكون عندئذ مسلماً، والمجتمع الذي يتمثل فيه ذلك كله، يكون مجتمعاً مسلماً، وإلا فهي الجاهلية التي يتردى فيها الإنسان وينتكس.

والجاهلية هي حالة ترفض الاهتداء بهدي الله، ووضع تنظيمي يرفض الحكم بما أنزل الله، أو هي نظرية للحياة كاملة تعالج جميع المسائل الأساسية للحياة البشرية وتعريف جوابها وحلها على أساس من المشاهدة الحسية، دون أن تستمد ذلك من وحي الله سبحانه.

وعندئذ تتمثل الجاهلية في صور شتى، كتلك التي تنكر وجود الله تعالى، أو لا تنكر وجود الله، ولكنها تشرك معه آلهة أخرى في أي صورة من صور الشرك، سواء كان ذلك الشرك الذي واجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وثني الجزيرة العربية بعبادة الأصنام والأوثان، أو كان في أي صورة أخرى من صور الشرك، كعزل الدين عن الحياة، أو حصره في بعض الشعائر التعبدية أو الأخلاقية، وهو ما نجده في الجاهليات المعاصرة (انظر بالتفصيل: الإسلام والجاهلية للشيخ أبي الأعلى المودودي، جاهلية القرن العشرين للأستاذ محمد قطب معالم في الطريق لسيد قطب ص ١٠٥ - ١٢٢، مسائل الجاهلية للشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وشرحها للألوسي).

ولما كان الإسلام هو دين الله ومنهجه الذي يتفق مع الفطرة

ويحقق السعادة. وهو على نقيض الجاهلية وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبطل ويهدر كل ما كان من أمر الجاهلية: عقيدة وعبادة ومنهجاً وخلقاً.. وعادات... ((الأكل شئ من أمر الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين)).

(٤) - الدعوة بالقدوة :

عرفت البشرية في تاريخها الطويل كثيراً من الدعوات الإلهية والبشرية... بذل أصحابها جهودهم في إجاحها والدعوة إليها ونشرها في ربوع العالمين. ولكن لم يكتب لها من القبول والتأثير والنجاح ما كتب لدعوة محمد صلى الله عليه وسلم. ولقد تضافر على هذا النجاح جملة أسباب ترجع إلى طبيعة الدعوة نفسها وخصائص المدعوين. وطبيعة الداعية نفسه. والوسيلة التي يتذرع بها ويمارس الدعوة من خلالها. لكي يقوم بتربية الأمة حتى تستقيم على منهج الله وتتحصن من غواية الشيطان.. والوسيلة الناجعة هي أن يبدأ الداعية بنفسه. يلتزم هو بما يدعو إليه ويسارع إلى امتثاله. ويتسوق قوله مع فعله. قبل أن يدعو غيره. فقد كان صلى الله عليه وسلم هو القدوة في كل ما يدعو الناس إليه. فكان إذا أمر بأمر بدأ فيه بنفسه. وحمل أهله عليه. فهو إذن يدعو ويربى بسلوكه وواقعه قبل أن يربي بكلامه ومواعظه.

وها هو صلوات الله وسلامه عليه يقف في حجة الوداع ليهدر ويبطل عادات الجاهلية وثأراتها ورباها.. ولكنه يبدأ بأقرب الناس إليه فيبطل ربا عمه العباس بن عبد المطلب. ويبطل من ثأرات الجاهلية ودمائها دم ابن ربيعة بن الحارث من أقرب أقاربه.. وبذلك يقطع كل لسان يريد أن يتقول على الرسول ودعوته.. أما لو لم يفعل ذلك فإن ألسنة السوء سوف تنطلق قائلة: انظروا إلى محمد. إنه يهدر دماء الناس وأموالهم. ويبقى على مال ودماء أقاربه.. أو ليس له ولا لأحد منهم شئ من ذلك - فلم يلحقه بهذا أذى أو ضرر!! ولذلك بدأ عليه السلام بنفسه وبأقاربه في دعوته. وتلك هي سنة الدعوات وطريقة الأنبياء حكاها الله تعالى على لسان شعيب عليه السلام : ((وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه)) هود : ٨٨ .

(٥) - إعلان الحرب على الربا :

يقيم الإسلام نظامه الاقتصادي على أسس عقدية وأخلاقية. فالله سبحانه وتعالى هو خالق هذا الكون الذي نعيش فيه ونعمره. وهو خالق كل شئ في السماء والأرض : (ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شئ) الأنعام : ١٠٢ . ولذلك فهو سبحانه المالك الحقيقي لكل ما فيه : (لله ملك السماوات والأرض وما فيهن) المائدة : ١٢٠ .

وقد جعل الله تعالى هذا الإنسان مستخلفاً في هذه الأرض. وقيده في هذا الاستخلاف بجملة من القيود التي فرضها في تنمية المال وكسبه. فلا يجوز أن يكون ذلك عن طريق الربا.

الذي يتعارض مع الأسس الأخلاقية. لأنه يقوم على استغلال حاجة الآخرين وفيه ينعدم التعادل بين الجهد والكسب. ولذلك لم يأذن الله بحرب كما أن بحرب آكل. وجاءت الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تحذر منه وتبين عاقبته في الآخرة. كما تبين آثاره أيضاً في الدنيا. كما نجد ذلك في النواحي الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية. (انظر في ذلك : المال والحكم في الإسلام : عبد القادر عودة. العدالة الاجتماعية لسيد قطب. وبحوث عن الربا والبديل الإسلامي في مؤلفات الأساتذة : المودودي. وعيسى عبده ومحمد أبو زهرة).

وحسبنا هنا الإشارة إلى موقف الرسول صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع حيث أعلن إهدار الربا. وبذلك أرسى دعائم النظام الاقتصادي السليم الذي يحقق للإنسان الخير والسعادة.

(٦) المرأة .. والعلاقات بين الجنسين :

إن الأنظمة البشرية تخبطت كثيراً في نظرتها للمرأة والعلاقة بين الجنسين. فتأرجحت في انحرافها من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار... وجاء الإسلام ليضع الأمر في نصابه في قضية من أخطر قضايا المجتمع. ونوجز ذلك في كلمات سريعة:

يقوم الكون كله على قاعدة الزوجية. واقتضت حكمة الله أن يكون الإنسان ذكراً وأنثى. يميل كل منهما إلى اللقاء بالطرف الآخر. ليتم بذلك الحفاظ على النوع الإنساني. وقد نظم الإسلام هذه العلاقة وجعلها تقوم على أساس من المودة والراحة النفسية. وليست مجرد علاقة شهوانية : ((ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة)) الروم : ٢١ .

وقد عني الإسلام ببيان وحدة الزوجين من إنسانيتهم: ((يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها)) النساء : الأولى. ومن حيث علاقتهما بربهما ((فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى...)) سورة آل عمران : ١٩٥ .

ورغم هذه المساواة فهناك اختلاف في التركيب النفسي والجسمي. استوجب خلافاً بينهما في بعض القضايا كالميراث والشهادة وجعل الطلاق بيد الرجل وله القوامة على شؤون البيت مقابل ما يلتزم به من واجبات ولذلك وقف الرسول عليه السلام يوصي المسلمين بالنساء وبين بذلك نظرة الإسلام الكريمة للمرأة: ((فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله. واستحللتم فروجهن بكلمة الله)).

(٧) ... حقوق وواجبات :

ثم فصل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من الحقوق والواجبات على كل من الطرفين فلتلتزم المرأة بطاعة زوجها في الفراش كلما دعاها إليه. وألا تأذن لأحد بالدخول إلى بيته إلا

بإذنه وأن تحفظه في غيبته في أهله وماله ونفسه . وله عليها حق السمع والطاعة والقوامة .

ويلتزم الرجل بهديه الكرم وهو المهر. والمعاشرة لأهله بالمعروف. والنفقة بكل جوانبها. وله حق تأديب الزوجة عند النشوز. بالموعظة الحسنة والكلمة الطيبة ثم بالهجر في المضجع كعلاج نفسي. ثم بالضرب التأديبي بشروطه وضوابطه كعلاج بدني. ثم التحكيم بحكم من أهله وحكم من أهلها . وإذا باءت كل هذه المحاولات في رأب الصدع وعلاج النشور. فليس هناك إلا التسريح بإحسان. كمرحلة أخيرة في العلاج. ويضيق هنا المقام عن التفضيل والتدليل على ذلك كله. فحسبنا هذه الإشارة الجملة.

(٨) - التوازن بين الحقوق والواجبات:

من السمات العامة للإسلام والخصائص المميزة ذلك التوازن بين الأمور المتقابلة . بحيث لا يطغى جانب على آخر أو يلحق به الضيم . وقد وازن الإسلام بين الحقوق والواجبات . فهما - كما يقال - وجهان لعملة واحدة . فالحق يقابله واجب . وكل إنسان يطالب بحقه ينبغي أن يقوم بأداء واجبه . فالحق الذي أطلب به هو واجب وتكليف على شخص آخر . وهكذا تصل الحقوق لأصحابها عندما يقوم كل منا بأداء واجبه . وقد رأينا النبي . في خطبة الوداع . يطلب المؤمنين بأن يقوموا بأداء ما وجب عليهم تجاه زوجاتهم ((فاتقوا الله في النساء. فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحلتم فروجهن بكلمة الله)). ثم بين بعد ذلك ما لهم من حقوق على زوجاتهم : ((ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ...)).

(٩) هذا هو العدو ... فاحذروه:

إن العداوة بين الإنسان والشيطان وداوة أبدية . منذ أن أمر الله الملائكة بالسجود لآدم واستكبر إبليس عن ذلك ... فكان الشيطان عدواً لآدم . فينبغي على ذريته أن تتخذ الشيطان عدواً . وهو لا يفتأ يكيد لهذا الإنسان ويتخذ كل وسيلة ليصرفه عن الهدى والحق والخير . ولذلك جاء التحذير من اتباع خطوات الشيطان فقال الله تعالى: [ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين] . البقرة : ١٦٨ .

ولئن بئس ذلك الشيطان من أن يعبد في الأرض بعد أن امتن الله علينا بالإسلام . فهو يكتفي بالتحريش بين المؤمنين . ويكفيه أن يرى المؤمن يقوم بمحقرات من الأعمال . فقد أصبح على قابلية واستعداد لأن يقوم بما هو أكبر منها فمن سار في الطريق خطوة واحدة سهل عليه متابعة الطريق إلى النهاية... ولذلك جاء في خطبة الوداع التحذير من الشيطان: ((فاحذروه على دينكم))

(١٠) - سبيل النجاة ... والعصمة عن الضلالة :

لقد امتن الله تعالى على هذه الأمة فأتم عليها النعمة وأكمل

لها الدين . وبعث محمداً عليه الصلاة والسلام . وقلده أمانة التبليغ والأداة والبيان . وقد فعل ذلك عليه الصلاة والسلام وقام بأداء الرسالة وإبلاغها . ونصح الأمة . وتركها على المحجة البيضاء . ليلها كنهارها . لا يزيغ عنها إلا هالك. وهي سبيل النجاة وسبب العصمة عن الضلالة والغواية ولا أحد أعلم بهذا الدين من الله الذي أنزله . ولا من رسوله الذي بلغه . فليس لأحد بعد أن يزعم أنه يكمل هذا الدين بشيء يأتي به وبيدعه ... فما الواجب لإطاعة الله ورسوله . والتمسك بهذا الوحي المتلو - القرآن - وغير المتلو - السنة النبوية وإن حصلت الخالفة في ذلك فإنه الكفر الذي يحذر الله تعالى منه : [فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم] النور . الآية : ٦٣ . والفتنة هنا هي الكفر .

وحسبنا أن تكون الوصية الخالدة للرسول عليه الصلاة والسلام والنصيحة الصادقة. يقدمها النبي للجموع المؤمنة في حجة الوداع. هي قوله عليه الصلاة والسلام: ((وقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وسنتي)).

(١١) - مبدأ المساواة الإنسانية :

وقبل أن يختتم عليه الصلاة والسلام كلماته الغوالي يرسي مبدأ المساواة بين الناس في القيمة الإنسانية المشتركة . فالناس كلهم متساوون في طبيعتهم البشرية . وليس هناك جماعة تفضل غيرها بحسب عنصرها الإنساني. وخلقها الأول . وانحدارها من سلالة خاصة . وما انتقل إليها من أصلها بطريق الوراثة .

فالتفاضل بين الناس إنما يقوم على أمور أخرى خارجة عن طبيعتهم وعناصرهم وسلالتهم . فيقوم على أساس تفاوتهم في أعمال البر والخير والكفاية في العلم والأخلاق يقوم على أساس التقوى : ((يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)) . الحجرات : ١٣ . فالكل يعبد ربا واحداً وكلهم قد انحدروا من أصل واحد . والكل من آدم : ((إن ربكم واحد . وإن أباكم واحد . كلكم لآدم . وآدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم)) .

(١٢) - أمانة البلاغ والبيان :

وبعد أن قام عليه الصلاة والسلام بأمانة البلاغ المبين والأداء لهذه الرسالة والجهاد في سبيلها . خلال سنوات هي زينة هذا الدهر . جاهد فيها حق الجهاد ... وصبر حق المصابرة .. وأعطى للإنسانية خيراً ما يعطى ... لقد أبلغ رسالة ربه . وأدى الأمانة كاملة . ونصح للأمة .. وليس بعد هذا إلا أن يستوتق منه. فليشهد الله تعالى على هذه الشهادة التي نطق بها الجموع المؤمنة الغفيرة في ساحة الرحمة والمغفرة .. فاللهم أشهد اللهم أشهد ... والحمد لله رب العالمين .



.. دروس تربوية وعبر أخلاقية

د/ محمد محمود العطار

أستاذ مساعد - جامعة الباحة

المسلمين ومستجداتهم .

مفهوم الحج :

الحج لغة : القصد . والحج اصطلاحاً : القصد في أشهر معلومات إلى البيت الحرام للنسك والعبادة . استجابة لأمر الله تعالى . وابتغاء مرضاته .
والحج أحد أركان الإسلام الخمسة . وهو فريضة يشترط لوجوبه شروط هي الإسلام . والبلوغ . والعقل . والحرية . والاستطاعة . والاستطاعة هنا تكون مالا وبدناً . قال تعالى « وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ » سورة آل عمران : الآيات 96-97 .

من فوائد الحج :

للحج منافع عديدة للمسلمين حيث تتوسع لديهم المدارك ويزداد رصيدهم من التعارف . وتتجدد لديهم مشاعر الإخاء والترابط والتآلف والتعارف والانتماء الوجداني إلى المجتمع الإسلامي الكبير . بالإضافة إلى تمسك الحاج بدينه والعمل بكتاب الله وسنة نبيه . ومن أهم فوائد الحج :
أنه سبب مرضاة الله .
أنه سبب لغفرة الذنوب .

ما إن يذكر بيت الله الحرام في بلد الله الحرام حتى ترق الأفئدة . وتهفو القلوب . وتشتاق النفوس . وحن الأرواح إجلالاً وشوقاً وحباً وإعظاماً لله رب العالمين .

قال تعالى : « إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ » سورة آل عمران : الآيات 96-97 .

ولقد جعل الله سبحانه وتعالى لحج بيته الحرام ميقاتاً معلوماً من السنة يتأدى فيه . فكان بذلك موسماً مشهوداً تلتقي فيه وفود القادمين إلى البيت الحرام بطن الوادي من أم القرى . من مختلف الأقطار والأمصار . وفي لقائهم هذا يحصل خير كثير يرجونه . ومنافع يشهدونها . قال تعالى « وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ » سورة الحج : الآيات 27-28 .

والحج سياحة إيمانية وفي هذا اللقاء البهيج الجامع للحجيج المفعم بالإيمان . تتجلى كثير من المعاني الإيمانية والاجتماعية .

إن الحج أكبر مظهر للاجتماع الإنساني على الأرض . وفي أفيائه يجد المسلمون أعظم الفرص للقاء . وتداول الآراء . وتبادل التجارب . والحوار المثمر المععمق في قضايا



وللحج في الإسلام أهمية كبرى وفضل عظيم . وقد وردت آثار عديدة دالة على ذلك . منها قول رسول الله ﷺ عندما سئل : « أي الأعمال أفضل ؟ قال : إيمان بالله ورسوله . قيل ثم ماذا ؟ ثم جهاد في سبيل الله ؟ قيل : ثم ماذا؟ قال : حج مبرور . » . وقال ﷺ « من حج فلم يرفث . ولم يفسق . رجع كيوم ولدته أمه » (رواه البخاري ومسلم) . وقال أيضاً ﷺ « العمرة على العمرة كفارة لما بينهما . والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » (رواه البخاري ومسلم) .

وفي فضل الحج والعمرات روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « الحج والعمرات . وفد الله . إن دعوه أجابهم . وإن استغفروه غفر لهم » .

وكل ما يقوم به المسلم من عبادات . هي سلوكيات حميدة مفيدة تنعكس آثارها الإيجابية على حياته . وحياة أفراد المجتمع من حوله . وتتجلى أهم آثار الحج التربوية والأخلاقية في النقاط التالية :

يبرز الحج وحدة المسلمين وتماسكهم . وأنهم يسعون إلى هدف واحد . ومصير مشترك . هو مرضاة الله تعالى والفوز بجنته .

يظهر الحج البدن ظاهراً وباطناً . مادياً وروحياً : فالحج طهارة شاملة للروح والبدن والمال . إذ يرجع منه الحاج طاهراً معافى كيوم ولدته أمه .

يربي المسلم على كظم غيظه وضبط انفعالاته عند احتكاكه بالحجاج الآخرين في أداء المناسك وسط الزحام : حيث يمنع الرفث والفسوق والجدال في الحج .

التربية على تحمل تبعات الخطأ ويظهر ذلك جلياً في وجوب الفدية على من ارتكب محظوراً من محظورات الإحرام أو ترك واجباً . ولا شك في أن الشعور بالمسؤولية وتحملها علامة نضج الإنسان وكماله .

يوسع الحج فكر المسلم . وينمي ثقافته . ويزيد من خبراته . من خلال احتكاكه بشخصيات إسلامية متعددة . ذات لغات مختلفة . وثقافات متنوعة . وتقاليد وعادات متباينة . فيكتسب منهم ويتأثر منهم .

أنه سبب للفوز بالجنة .
أنه سبب لتعظيم شعائر الله .
أنه سبب للتقوى وتزكية النفس .
أنه سبب لتنمية الشعور لدى الحاج بالعزة والفخر للانتماء إلى أمة الإسلام .
أنه سبب لتربية المسلم على تحمل المشاق والسعي لمرضاة الله .

أن قيم الحج إذا تشربتها النفوس وأحسنت تمثلها كانت لها طاقة تغذي جهود اصحابها . أفراداً كانوا أو جماعات . إذ تتصافر في بناء كيان الأمة المسلمة بالعلم والعمل . فمن حافظ على آداب الحج فترك اللغو والحرام . فقد تطهر من ذنوبه . وغفر الله له خطاياه فيعود نقياً تقياً مغفوراً له بإذن الله .

شعار الحج :

لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك .. إن الحمد والنعمة لك والملك .. لا شريك لك ..

يهدف الحجيج من أول إحرامهم بهذه الكلمات العظيمة الرائعة الطيبة المثمرة في نفوسهم المتعلقة بالإيمان معلنين بذلك الطاعة المطلقة لله رب العالمين .

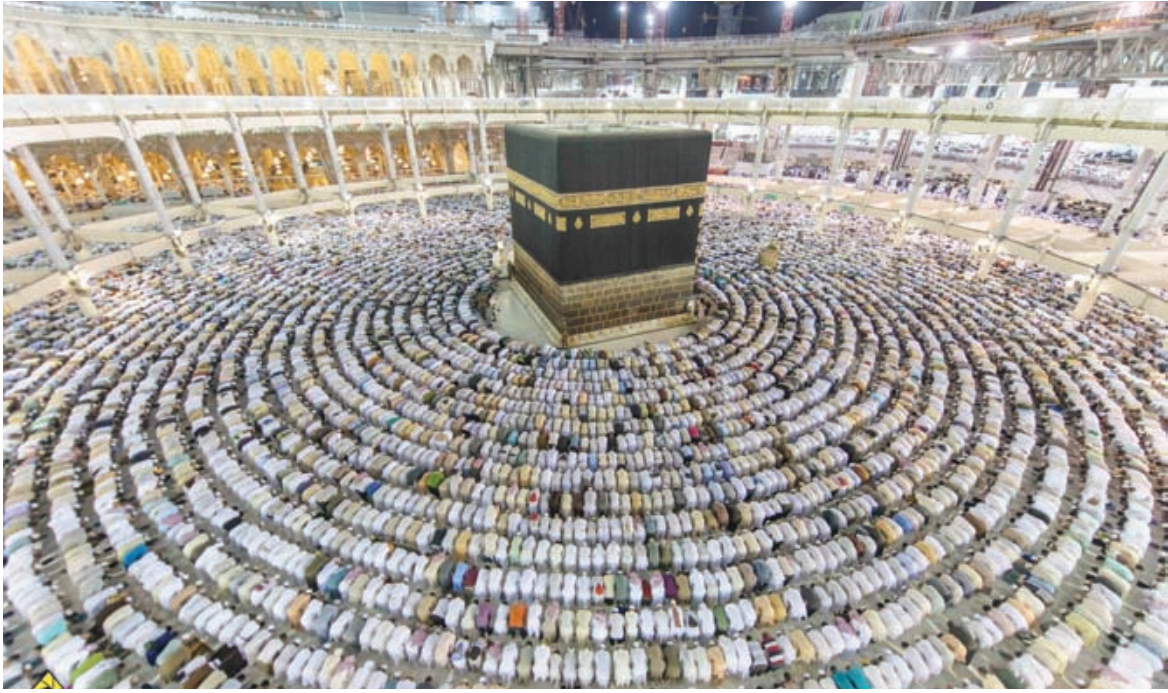
إن هذه التلبية هي ما نحتاجه اليوم لتستقيم أمورنا وتستقيم حياتنا . فالخلل الكبير الذي يصيب الأمم ينشأ يوم تنفصل الأقوال عن الأفعال . إننا نريد لبيك واقعاً عملياً في حياة المسلمين بحيث ننقي أنفسنا من الأحقاد والضغائن وموجبات الشقاق . وأن يشيع خلق العفو والتسامح بين الناس لله وحده قبل أي شيء آخر . ونهضو نفس المسلم . وتتطلع لأداء هذه الفريضة متجشماً وراضياً كل مشقة في سبيل أداء فريضة الحج . وزيارة الأماكن المقدسة .

بعد لبيك

يتحول العبد من المعصية إلى الطاعة . ومن البعد والجفاء إلى الخضوع لله وشرف التذليل له . ولا تعني لبيك الحج فقط ولكن لبيك يارب في كل ما أمرت . ولبيك في ترك ما نهيت . لبيك وحدك لا شريك لك . فالؤمن الذي يرفع نداء لبيك عليه أن يترجم هذا القول بالعمل .

الآثار التربوية والأخلاقية للحج :

حملت شعيرة الحج دروساً إيمانية وعبر عظيمة من شأنها انتشال البدن من أحوال المادة والارتقاء به في رحلة روحية إلى الله في الأراضي المقدسة .. وفيها أيضاً التسليم الخالص لقضاء الله والامتثال المطلق لأوامره واجتناب نواهيه . وليس أدل على ذلك من تسليم خليل الله إبراهيم عليه السلام بذبح فلذة كبده . رافعاً شعار لبيك يارب .



وكذلك التربية على الصبر بأنواعه : صبر على مشقة الطاعة ، وصبر على المعصية ، وصبر على قضاء الله ، وكذلك أيضا التربية على البذل والسخاء فالحج عبادة بدنية ومالية ، ففي الحج تتسامى المشاعر والعواطف وتحقق معاني الأخوة وحصول المحبة والتآلف والتضحية. وفي الحج طهارة قلبية ونظافة داخلية لوجدان وقلب الإنسان من الذنوب حتى يعود - بفضل الله - كما ولدته أمه خاليا من الذنوب مطهرا من الآثام والمعاصي .

خاتمة :

إن الحج أحد أعظم مظاهر القوة في ديننا العظيم ، ولو أن الأمة ، فهتم مقاصد الحج وغاياته ، ولو أنها أدته كما يجب أن يؤدي ، ولو أنها عاشته وعابثته ركناً ونسكا نسكا لتغير وجهها ، ولغيرت هي وجه الأرض والتاريخ .

إن للحج تأثيراً عظيماً في تزكية النفوس وإصلاح القلوب، لما فيه من معاني العبودية ، ومظاهرها التي تجلت في كل أعماله ومناسكها ، فأثمرت في واقع السلف قلوباً زكية تقية ، وأبداناً طاهرة نقية .

فالحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة ، وهو من أفضل الأعمال ، والحج كالجهد في أجره ، والحج كالمجاهد في المنزلة ، وأن للحج كرامة عند الله بها يستجاب دعاؤه ويغفر ذنبه وذنوب من يريد له ذلك ما استغفر له بإذن الله . قال رسول الله ﷺ « من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » (رواه البخاري ومسلم) .

في الحج تربية على التعلم والتعليم ، فالحج يتعلم مناسك الحج ومحظوراته ، وقد يحضر دورة قبل الحج ، أو يسأل مفتياً في أثناء الحج ، وحسن السؤال نصف العلم. وقد يضبط الأحكام والفتاوى بإحكام يؤهله لنقلها لغيره مبلغاً ومعلماً .

يربي الحج المسلم على العدل والمساواة : إذ يرى جميع الحجاج يلبسون زياً أبيض واحداً ، ويؤدون مناسك واحدة ، ويقفون على صعيد واحد ، ويلبون بصوت واحد ، ويرجون رحمة رب واحد ، وكذلك البعد عن العصبية والقوميات وألوان التمييز المادية ، فالتمييز والتفاضل بين الخلق عند الله إنما يكون بالتقوى .

يربي الحج المسلم على النظام والانضباط ، فللمناسك ترتيب ونظام لا يقبل الإخلال بهما ، وكم في الناس من مزاجية واضطراب لا تنضبط إلا بالحج .

وفي الحج تربية على الأخوة الإسلامية ، والفتنة والتذكر لحقيقة الإنسان في الدنيا ، وأنه يخرج منها ولا يأخذ معه إلا ما قدم من عمل .

في الحج تربية على هجر العوائد وقطع العلائق وتغيير نمط الحياة ، فالعوائد هي ما اعتاد عليه الناس من سكون ورخاء، والعلائق ما تتعلق به القلوب من دون الله من ملاذ الدنيا ، ويكون هجرها بقوة التعلق بالمطلب الأعلى وهو رضا الله سبحانه وتعالى .

التربية على الأخلاق الحسنة ومنها العفة ، وكظم الغيظ، وترك الجدال ، واللين ، والرفق ، والسكينة ، وكذلك التربية على التواضع حين لا يمتاز أحد عن أحد، وليس لحاج خاصة أو ميزة عن غيره من الحجاج في الأمور الدينية.



نحو الارتقاء بصحة الحجاج

بقلم: د. حذيفة أحمد الخراط

المدينة المنورة

يُقدم في كل عام نحو المشاعر المقدسة بمكة المكرمة وما جاورها جموعٌ غفيرة من المسلمين، يأتون من كلِّ فجٍّ عميق من مشارق الأرض ومغاربها، طامعين بعفو الله وإحسانه، سائلين إياه الرحمة والمغفرة في هذه الأيام المباركات. ويتحتّم علينا تجاه ضيوف الرحمن هؤلاء بذل الجهد في استقبالهم، والقيام بشؤونهم ورعايتهم، وتأمين حاجاتهم، في أثناء رحلتهم المباركة، وتأديتهم لمناسك الحج، إلى أن يحين أوان عودة القوافل إلى بلادها، فيرجعون وهم سالمون. ويأتي في رأس قائمة واجباتنا تجاه حجاج بيت الله الحرام نصحتهم وتوجيههم، ورفع مستوى الوعي الصحي بين صفوفهم، وما يتعلق بذلك من ثقافة عامة، نسعى من خلالها إلى تحقيق مبدأ «الوقاية خير من العلاج»، ولا سيما إن عرفنا أنّ الكثير من المشكلات الصحية التي تواجه الحجاج يمكن الوقاية منها إلى حدٍّ كبير - بإذن الله - بالأخذ بوسائل الحيطة، واتباع أسلوب الحذر في أثناء أداء مناسك الحج المختلفة. ونسرد هنا قائمة من النصائح الصحية التي نوجّهها إلى ضيوفنا من حجاج بيت الله الحرام، ولعل ذلك يساهم في التخفيف من مشكلات موسم الحج الصحية، ومن تلکم النصائح والتوجيهات :

- حبذا سنة الاغتسال، وتعهد البدن بالنظافة قبل

الشروع في لبس ملابس الإحرام الخاصة. وما يُنصح به هنا تقليص الأظافر، وتخفيف شعر الرأس، وإزالة شعر الإبط والعانة، وهي من محاسن الأعمال، التي ثبت في العلم الحديث فوائدها الجمّة في تقليل أعداد الكائنات الحية المجهريّة التي تعيش في أجسامنا، كالبكتيريا والفيروسات والفطريات، وهي إذن وسائل وقائية ثابتة وناجعة في حماية الجسم من الوقوع فريسة الكثير من الأمراض التي كثيراً ما تسببها تلك الأحياء. - ومن الثابت المفيد أيضاً حرص الحاج على أخذ اللقاح المخصّص ضدّ الحمّى الشوكية قبل أن تطأ قدمه أرض المشاعر المقدسة، وهذه الحمّى داءٌ مُعديّ، وذو أعراض خطيرة، قد تكون قاتلة أحياناً، ويكثر حدوث هذا النوع من الأمراض في الأماكن الضيقة، وذات الكثافة السكانية العالية، ولا شك أنّ أجواء الحج المزدهمة تُعدُّ بيئة مثالية لانتشار مثل هذا الداء. - أما عن غذاء الحاج في أثناء فترة تأدية المناسك، فيُنصح بتناول وجبات غذائية صحية خفيفة ومتوازنة، وتضمُّ ما يحتاج إليه جسمه من عناصر الغذاء الرئيسيّة (كالدهون والبروتينات والسكريات)، التي تمدّ الجسم بنصيب من الطاقة المعينة على أداء العبادة، ويُدّم هنا الإسراف في المأكّل، ولاسيما الوجبات الدسمة، لما يصحب ذلك من الإصابة بالتخمة وعسر الهضم، وظهور آلام البطن، والحمول، وكلها مما يُعيق



ومن عظيم النصائح أيضاً تحري نظافة الفم والأسنان، والمواظبة على استخدام السواك (أو ما ينوب عنه كفرشاة الأسنان) عقب الفراغ من تناول الطعام، وغسل اليدين قبل الأكل وبعده، واستخدام أواني ومعدّات نظيفة لإعداد ما يؤكل أو يُشرب، وهي في المجمل عوامل تُسهم في تقليل أعداد الميكروبات المسببة للكثير من الأمراض. ويجب أيضاً عدم ترك الطعام مكشوفاً عقب الفراغ من تناوله، فهذا يجعله عرضة للحشرات والتهام المختلفة الناقلة للمرض.

ومن الضروري أيضاً مراقبة تاريخ صلاحية ما يتناوله الحاج من الأغذية المعلّبة، وسرعة التخلص من الفاسد منها، كما يجب حفظ تلك المعلبات في مكان جاف، وغير رطب أو حار.

- وما يجدر بالحجاج أيضاً التنبّه إليه: التزام آداب الخلاء، كغسل اليدين عقب الفراغ من قضاء الحاجة، وجنّب فعل ذلك في العراء، والحرص على نظافة المكان، ولا شك أنّ إهمال ذلك سبب لتكاثر الحشرات، وانتقال الميكروبات المختلفة، وما يعقبه من تفشي الكثير من الأمراض المعدية.

- ومن مشكلات موسم الحج الصحية الشائعة الإصابة بما يُعرف بضربة الشمس Heat stroke، ويكثر حدوثها في مواسم الحج ذات الأجواء الحارة (كموسم الحج الحالي). ويُنصح لوقاية الحجاج منها بالتخفيف من المشي تحت أشعة الشمس المباشرة، واستخدام المظلات ذات اللون الفاتح التي تعكس أشعة الشمس. كما يفيد في علاج هذه الحالة والوقاية من أعراضها الإكثار من شرب الماء والسوائل، بغية تعويض ما سيفقده الجسم منها في تلك الأجواء الحارة.

- وقد يصاب الحاج بحروق في جلده نتيجة تعرّضه المباشر لأشعة الشمس مدة طويلة، أو عقب مشيه حافياً فوق أسطح ساخنة، مثلاً أو في الساحات العامة. وقد تكون تلك الحروق واسعة وعميقة، وقد تستدعي في بعض الحالات إجراءً عملياً جراحية لتنظيف الجلد المحروق، وإعادة ترميمه، ويُسهم في الوقاية من ذلك التخفيف من السير تحت أشعة الشمس، وجنّب المشي حافياً قدر الإمكان.

- ومن وسائل الوقاية من انتشار أمراض الجهاز التنفسي الشائعة في موسم الحج استخدام المناديل الورقية في أثناء عمليتي العطس أو السعال، والإكثار من سُنّتي المضمضة والاستنشاق، والابتعاد عن الشخص

الحاج عن أداء عبادته على النحو الأمثل. ويُنصح الحاج أيضاً بالإكثار من تناول الأغذية الغنية بالفيتامينات والمعادن المهمة، ومن أشهر مصادر ذلك: الخضراوات والفاكهة الطازجة. ولتلك الأغذية دور ثابت في رفع مناعة الجسم، ووقايته من الأمراض، ومدّه بالطاقة والنشاط اللازمين في أجواء الحج.

ويجب أيضاً شرب كميات وفيرة من السوائل، ولا شك أنّ الماء النظيف أفضلها. ويهدف ذلك إلى وقاية الجسم من مخاطر الإصابة بالجفاف، وما يعقبه من مضاعفات صحية خطيرة. وحيداً إن امتنع الحاج عن الإسراف في تناول المشروبات الغازية التي ثبت ضررها الجسيم في صحة أجهزة الجسم.

وتبرز أهمية الإكثار من شرب السوائل بصورة أوضح إن كان موسم الحج شديد الحرارة كما هو الحال في الموسم الحالي هذا، إذ يفقد فيه الجسمُ سريعاً محتواه من السوائل والمعادن نتيجة عملية التعرق الغزير.

كما يساعد شرب الماء أيضاً في هضم الطعام، وطرح فضلات الجسم، ويُسهم من جهة أخرى في تسهيل حركة المفاصل، وهو لا شك مطلب رئيس لمساعدة الحاج في حركته وتنقلاته بين المشاعر المختلفة.

وعلى الحاج أيضاً أن يتحرّى النظافة فيما يتناوله من الطعام والشراب، وألا يتناول ما كان منها مجهول المصدر، كأن يكون من الباعة المتجولين، ولا سيما إن كانت بضاعتهم مكشوفة، إذ تُعدُّ بؤرة تنمو خلالها الجراثيم والفيروسات وتتكاثر، لتصبح سبباً للإصابة بأمراض الجهاز الهضمي الحادة، كالنزلات المعوية والتسمم الغذائي، وما يصحب ذلك من أعراض مختلفة، كالقيء والإسهال الشديدين.



تلك الأدوية بالطريقة الصحيحة، وفي مكان بارد وجاف، وبعيداً عن أشعة الشمس المباشرة. ويجدر بالمرضى هنا أن يُعلم طبيب الحملة بما يشكوه من داء، وما يستخدمه من دواء، فيعدُّ للأمر عُدَّتَه. كما يجب عليه الحرص على عدم الإرهاق، وتجنب الازدحام والتدافع الذي لا طاقة له به، فقد يكون ذلك قاتلاً لا يسمح الله. ولا مانع من أخذ المريض بالرخص الشرعية إن لزم الأمر. كركوب عربة في أثناء الطواف والسعي، والتوكيل لرمي الجمرات، وغيرها. وفي ديننا من اليسر ما يكفي وثله الحمد.

- ومن الواجبات أيضاً تأمين حقيبة طبية في كل خيمة، ومع كل حملة من حملات الحجيج. ويجب أن يتوافر في هذه الحقيبة أدوية الطوارئ المهمة كمسكنات الألم، وخافضات الحرارة، والمضادات الحيوية، والمعقمات، وأدوات ضماد الجروح، ومراهم الحروق، وغير ذلك.

- ومن النصائح الصحية المهمة توخي الحذر في أثناء حلاقة شعر الرأس أو تقصيره عند حُلل الحاج. ويتأتى ذلك بالحرص على استخدام أدوات حلاقة ومقصات نظيفة، واستخدام موسى جديدة في كل مرة. فقد تكون الأدوات المستعملة ملوثة بدم مريض ما، وهذا سبب هام في نقل العديد من الأمراض الخطيرة، وعلى رأسها داء الإيدز والتهاب الكبد الفيروسي.

نسأل الله تعالى أن يتقبَّل من حجاج بيته الحرام صالح أعمالهم، وأن يمنَّ عليهم بأداء مناسكهم في أمان واطمئنان، وأن يقيهم كل سوء ومكروه قد يعترض طريقهم، ونسأله تعالى أن يكتب لموسم الحج هذا النجاح والتوفيق، وأن يجزي القائمين على شأنه خير الجزاء.

الذي تظهر لديه أعراض الأمراض التنفسية، وتجنب الدخول في المناطق المزدحمة قدر الإمكان، والحرص على تهوية أماكن النوم والجلوس، وغسل اليدين باستمرار، واستخدام الكمّات المخصصة لتغطية الفم والأنف، وتغييرها بصورة مستمرة بغية التخلص مما قد يعلّق بها من ميكروبات أو مفرّزات.

- ومن كوارث الحج الخطيرة ما قد يحدث - لا سمح الله - من اندلاع الحرائق نتيجة خلل في أسلاك الكهرباء، أو في أثناء إعداد الطعام داخل الخيمة أو خارجها، ما قد يتسبب في انتشار ألسنة اللهب سريعاً نحو الأماكن المجاورة، وهذا قد ينتج عنه اختناق الكثير من الحجاج ووفاتهم.

ويبقى من مخاطر الحريق تلك: الاستعمال الخذر لأنابيب الغاز داخل الخيمة، وتوفير معدّات السلامة، ومطفأة الحريق، ومخارج طوارئ معلومة لدى الجميع، وعدم تخزين مواد متفجرة أو قابلة للاشتعال، وفضل التيار الكهربائي عند الخروج من الخيمة أو سكن الحجيج.

- ومن الحجاج من يصرّون على مزاحمة غيرهم في الأماكن المزدحمة، كأن يرغبوا في الاقتراب من الحجر الأسود لتقبيله، أو تسلق جبل الرحمة في عرفات، وفي ذلك من الخطر الشنيع الكثير، كالتعرض إلى السقوط والانزلاق والإصابة بالكسور أو الرضوض المختلفة، وحبذا لو امتنع هؤلاء عن هذا الفعل رحمة بأنفسهم وبغيرهم، وتجنباً لإلقاء النفس إلى التهلكة.

- ومن المشاهد المؤسفة ما يقوم به بعض الحجاج غير النظاميين ممن لا مأوى لهم، بافتراش الأرض والنوم في العراء أو في ظل السيارات أو الحافلات، وكثيراً ما حدثت جراء ذلك وقائع فاجعة نتج عنها دُهس هؤلاء من غير قصد.

وقد قلّت والله الحمد هذه الظاهرة المؤسفة حين ألزمت السلطات المختصة جميع الحجاج بالحصول على تصريح نظامي، يساهم في إيجاد مأوى لهم بقيتهم - بإذن الله - من مظاهر تلکم الفوضى التي تسببت في إزهاق الأرواح فيما مضى من مواسم الحج.

- وكثيراً ما يكون الحاج مصاباً بمرض مزمن يستدعي منه عناية خاصة، كما هو حال الإصابة بالداء السكري وارتفاع ضغط الدم والربو مثلاً، وينصح في حالات كتلك حمل بطاقة صحية توضح طبيعة مرض الحاج، ويجب على المريض أيضاً أخذ حاجته من الأدوية المخصصة لعلاج ما يشكوه في حله وترحاله، مع ضرورة حفظ



فداء الله تعالى ... صيانة لدم الأبرياء

بقلم أحمد محايري

البرازيل

صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار). قال ابن العربي في شرحه لهذا الحديث : (إذا استحق الذي يشير بالحديدة اللعن فكيف الذي يصيد بها ؟) فتح الباري ج ٣ - ١٣٥ - صفحة ٢٥ . وأخرج ابن ماجه في الجزء الخامس من سننه عن البراء بن عازب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق). فالإمام السندي في شرحه لهذا الحديث يقول : (أي تعظيم حرمة القتل الذي يجعل زوال الدنيا أهون منه) اهـ .

وأخرج الإمام الترمذي عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لو أن أهل السماء والأرض اشتروا في دم مؤمن لأكبتهم الله في النار) .

وهذا يؤكد ما جاء في الحديث المتفق عليه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من أمن رجلا على دمه فقتله فأنا بريء منه ولو كان المقتول كافرا) .

يقف الحجاج في عرفات والمشاعر مهللين لله ومكبرين وقد جاؤوا لحرم الله بالتوبة متجردين من الدنيا ليعلموا عن شهادتهم لله بالألوهية والربوبية والوحدانية فيتضرعون إليه مستغفرين يسألونه الجنة والنجاه من النار مرددين قول الحق: الله أكبر والله الحمد لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه ... وبذلك يمارسون قولا وعملا ملة التوحيد. إذ من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة .

وفي منى يتذكرون خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع التي وجهها للمسلمين بقوله : (أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا... وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم فلا ترجعن بعدي كفارا / وفي رواية ضلالا / يضرب بعضكم رقاب بعض .. ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد) اهـ . فالمسلمون وهم يسفكون دماء أضحاهم أيام النحر عليهم أن لا يخطئوا الهدف ليسفكوا ظلما دم إخوانهم عوضا عن دم الأنعام . فهل من مدكر!

في عيد الأضحى المبارك يتذكر المسلمون فداءً الله تعالى لإسماعيل جد العرب عليه السلام (وفديناه بذبح عظيم) . والنبي صلى الله عليه وسلم يذكر فداءً الله لوالده عبد الله بقوله : (وأنا ابن الذبيحين). إذ أراد عبد المطلب أن يقدم ابنه عبد الله وفاءً لنذره وقرباناً لله . فجاءت مشيئة الله وقدره فدى بمائة من الإبل.

لقد كان ذلك في عهد الجاهلية قبل الإسلام عندما كان يتخيل البعض أن سفك دم الإنسان البريء إنما هو قربان لله فجاء الإسلام ليصحح هذا التفكير . وليمحو هذا الجهل بقوله تعالى : (من قتل نفساً بغير نفس أو فساداً في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً). إن حرمة النفس عند الله أعظم من حرمة الكعبة. إذ إن ابن عمر رضي الله عنهما طاف بالكعبة فخطبها قائلاً : (ما أجلك وما أعظم حرمتك عند الله . فوالله إن دم المسلم لأعظم حرمة منك عند الله) . ففي قول الله تعالى : (وكذلك زُيِّنَ للمشركين قتل أولادهم ..) الأنعام ١٣٧ . قال المفسرون : (فلما نهى الله المشركين عن قتل أبنائهم دلَّ على تثبيت النهي عن قتل أطفال المشركين في دار الحرب ...) اهـ . لأن سفك دم الإنسان بغير حق: من الكبائر في الإسلام. للحديث المتفق عليه عن ابن مسعود قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي الكبائر أعظم؟ قال: (أن تجعل لله نداً وهو خلقك . قلت ثم أي؟ قال أن تقتل ولدك من أجل أن يأكل معك) اهـ . وفي قوله تعالى: في سورة الأنعام ١٥١ : (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ..) قال الإمام الطبري: المراد بالنفس هنا. نفس مؤمن أو معاهد) اهـ . وقال ابن حزم الأندلسي: لا ذنب عند الله عز وجل بعد الشرك أعظم من شيئين: أحدهما تعمد ترك صلاة فرض حتى يخرج وقتها والثاني قتل مؤمن أو مؤمنة عمداً بغير حق . وقال ابن عمر رضي الله عنهما: (لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً). فالإمام الألويسي ينقل في تفسيره ما أخرجه الإمام أحمد والنسائي عن معاوية بن أبي سفيان أنه قال: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً) . وفي الحديث المتفق عليه عن النبي

منظر من عرفات

